المشرق

نظرٌ عقليّ في لزوم الدين

للاب لويس معلوف اليسوعي

هي مقالة اقترحناها على حضرة الكاتب ردًّا على مزاعم بعض الكتبة المصريين الذين لم يستنكفوا من تقويض اركان الدين والحطّ من شأن اديانه هداهم الله الى سواء السبيل

انّ علم الفلسفة النظريّة يثبت ببراهين دامغة لا مردّ عليها حقيقتين من اعظم الحقائق وأهمّها شأنًا: الاولى انّ الله موجود دحضًا لترّهات الكفرة. والثانية انّ النفس الانسانية روحٌ غير قابلة الموت عكسًا لما يزعمهُ الماديّون بمذاهبهم الواهنة. ولذلك استندتُ في بدء الكلام الى هذين الركنين المتينين اللذين يسلم بهما كل عقل صائب لم يتعامَ في طغيانه ولم يختم الفساد على قلبه. وعن كليهما أجلّ القارئ اللبيب. وها اني اخوض في موضوع الكلام واقول انّ الدين لازم للانسان لزومًا كليًا

١ اخصّ البراهين التي تستند اليها حقيقة لزوم الدين

١ انّ البراهين التي تستند اليها حقيقة لزوم الدين لاقامة هذه القضية وتأييدها لعديدة أتّخذ اوّلها من اعتبار ماهيّة الله وماهيّة الانسان

ما الدين الّا عبارةٌ عن مجموع حقائق وفرائض تقوم على علاقات موجودة بين الله والانسان. والحال ان هذه العلاقات واجبة لازمة. اذًا والحقائق والفرائض القائمة عليها الناتجة عنها واجبة ايضًا. فالدين اذن واجبٌ

اقول انّك ان وجّهتَ نيّر عقلك وامعنت النظر في صفات الباريء وماهيّته وصفات الانسان وماهيّته أضحيتَ على يقين من ان مجموع الفرائض والحقائق التي يقضي الدين بها هي واجبة راهنة. اذ ما الله وما الانسان؟ الله ماهيّةٌ وجوهرًا ووجوبًا هو خالق الكون وحافظ البريّة وربُّ الخلائق كلّها وغايتها القصوى. ذلك لانهُ هو العلّة الاولى وهو الكائن

الاسمى وهو مصدر كل خير وسعادة . اما الانسان فهو من كل وجه وفي اي اعتبار اعتبرتهُ صادرٌ عن الله وخليقتهُ وتحت يدهِ ويتعلَّق بهِ تعلقاً مُطلقاً لازماً تعلّق العبد بسيدهِ والمرؤوس برئيسهِ والمحفوظ بحافظهِ والمخلوق بخالقهِ . ونسبةُ الانسان هذه الى ربّهِ لا يستطيع الله ذاتهُ أن يُلاشيها او ان ينقلها . نعم انَّهُ تعالى بادئ بدء لم يكن ليضطرَّهُ امرٌ ليَبدع ما بَدَعَ بل اختياراً وتبرُّعاً خلق الخلائق واوجد الانسان . ولكن الآن بما انَّهُ اراد ان يخلق وفعلاً خلق فلا بُدَّ من وجود العلائق والنِسَب التي تقتضيها طبائع الاشياء وماهيّاتها ولاسيَّما ما تقتضيهِ ماهية الناطقات . وعليهِ فمن المحال ألَّا يطلب الله من الانسان مخلوقهِ طاعةً وحبًّا وعبادةً لانَّ طاعة الانسان لربّهِ وحبَّهُ وتعبُّدهُ لهُ تلك فروضٌ واجبة تقوم على مُقتضيات طبيعة الله وطبيعة الانسان . وهيهات ان يُبطل بارئ البريَّة الحكيم القدُّوس ما تقتضيهِ طبائعُ الكائنات وجواهرُها . فالدين اذاً لازم

ذاك دليل يكفي على موجز عبارتهِ لردّ اقاويل حَمَلة راية الكُفْر الذين يرمُّهم الجهل او التجاهل الى نكران وجوب الدين وهي حقيقة جلية لا تشكل الَّا على من اراد بعقلهِ عسفاً وظلماً

٢ واليك برهان آخر يتطرّق اليهِ من نظر في الهيئة الاجتماعية بعض النظر . (اقول) انَّ الهيئة الاجتماعية لازمة للانسان . وهي لا قِوامَ لها بدون دين فالدين اذاً واجب . اما كون الانسان في عوَزٍ الى الهيئة الاجتماعية فذلك لعمرك امرٌ بيّن لا مجال فيهِ للريب والشكّ . لو لم يخلق ربُّكَ الانسان للهيئة الاجتماعية فلِمَ ما ترى حلاَّهُ بقوَّة النُّطق والتعبير عمَّا يختلج في فؤادهِ من العواطف والافكار ؟ أما كان ذلك لدون غرض وعاريًا عن كل فائدة . ولربّك حكمةٌ في كلّ ما صنع . ثمَّ انَّ لزوم الهيئة الاجتماعية هذا يظهر من كون الانسان لو تُرِك بمعزل عن مجانسيهِ لا سبيل لهُ الى حسن التناسل ولاسيما الى التربية والتهذيب والتعلُّم وتثقيف قواهُ الطبيعية . على انَّ تلك القوى تقتضي ذلك كلَّهُ . زِدْ انَّ الانسان لو عاش منفرداً لأضحى في عجز كلّي عن ردّ الآفات والامراض الجمَّة والمخاطر المحدقة بهِ من كلّ جهةٍ يوجّه اليها خطواتهِ . اذاً لا مندوحة للانسان من أن يكون في هيئة اجتماعيَّة يؤازرُ ابناء جنسهِ ويؤازرونَهُ على بلوغ الكمالات ونوال الغايات التي تحثُّهُ طبيعتهُ وقواهُ الباطنة على التوصّل اليها

وقد قلتُ انَّ الهيئة الاجتماعية اللازمة للانسان يستحيل وجودها ان لم تَقُم على دعائم

الدين . ذلك لانَّ لهذه الهيئة حقوقاً وواجباتٍ مُتبادلة بين أفرادها وتلك الواجبات والحقوق ما من وسيلةٍ فعّالة ناجعة لعرضها واجرائها المجرى الكافي الحسن الّا الدين . فلا هيئة اجتماعية اذًا الّا بالدين

فليصدّق الانسانُ عقلَهُ ويعتبر ماذا تصير اليهِ مجتمعات البشر اذا ازيلت العقائد الدينيّة من الافهام واغفل القوم وجود الهٍ قدير عليم بصير يُجازي المحسنين ويعاقب من أساء . الى ايّ الوهاد تتدهور أعضاء تلك الهيئة من المظالم والفواحش والقبائح وايّ حاجز يبقى هناك لحجزهم عن الشرّ وردعهم عن ابعد ما تتصوّرهُ المخيّلات من طرق الفساد . أتقول القوّة المادّيّة ؟ انها وحدَها تعجز عن تقويم اهواء الانسان والميل بهِ الى جادّة الصواب . ولو كانت القوّة المادّيّة هي الوسيلة الوحيدة لإقناع الانسان وحملهِ على اتمام واجباتهِ لَما نالت منهُ الّا الشيء اليسير او جرّتهُ الى الدمار في اقرب من لمح البصر

أجل لقد صدق افلاطون كلَّ الصدق اذ قال : « انَّ من دكَّ دعائم الدين فقد دكَّ دعائم كل هيئةٍ اجتماعيّة انسانية ونقضها نقضاً »

واصاب ڤولتير نفسُهُ اذ كتب : « انهُ لو كانت ارباب الرئاسة على وجه البسيطة كفرةً لا يُذعنون لدين لكان التقلُّب بين ايدي الاباليسة اهون وأيسر من الانقياد لهم »

وخذ التاريخ وقلّب صفحاتهِ ترَ انَّ الممالك والأمم كانت تتقدّم في المدنيّة الصادقة وتنحطّ عنها على حدّ إعلاء شأن الدين فيها او انحطاطهِ

٣ ومما يؤيّد هذه الحقيقة التي نحن في أمرها كون شعوب الارض في كل آنٍ ومكان قد اذعنوا لها وعملوا بها واستناروا بسناء اشعّتها

يبيّن لنا علم المنطق أنّ إجماع الامم واتّفاقهم على الاعتقاد بحقيقة من الحقائق المُهمّة المنوطة بشأن من شؤون النظام الاجتماعي او الادبي او الدين مما لا يبعد ان يتلألأ للعقل صِدقها لجلائها وتيسُّر معرفتها هو برهان كافٍ لذاتهِ ودليل قاطع على أنَّ تلك الحقيقة راهنة صادقة يجب التسليم بها . والحال ان لزوم الدين ووجوبهُ لحقيقةٌ اعتقد بها كلُّ شعوب الارض مشارقها ومغاربها وذلك امر راهنٌ معلوم عند كلّ من لهُ بعض الإلمام بتواريخ الدهور . اليك المشترعين ومن سنّوا السُّنن فانّهم سندوا جميعاً مصدر ما اشترعوهُ وصرابهُ والزاميتهُ الى حكمة العلي وتدبير الخالق وعدل الربّ المالك ومنهُ كانوا يستمدُّون لمن تعدّى الشرائع عقابًا مُنكّلًا ولمن حفظها ومشى على خطّتها جزاء حسنًا . اليك

الفلاسفة : فلست تكاد ترى منهم حتى الذين ارتابوا وشكّوا في بعض الحقائق المهمّة الشأن مَنْ لم يسلّم بوجود حياةٍ اخرى بعد هذه الحياة وبوجود اله يجب السجود لهُ ولم يعتدّ هذه الحقيقة لازمةً لزوماً كلياً لحفظ الشرائع السياسية والهيئة المدنية ويعتبرها كسور لها منيع لا مناص منهُ ولا استغناء عنهُ . امّا الامم فانّهم كما سبق القول قد اعتقدوا بوجود اله تجب عبادتهُ ويحقّ السجود لهُ سجوداً باطناً وظاهراً وهذا إجماع الامم قد شهد عليهِ كل مؤرّخ وجغرافي وفيلسوف بين السّلف والخلف . ولاتّسع بنا المقال فوق ما قصدنا لو اتيناك باقاويلهم في هذا الشأن . ولو اقتضى الامر لأوردنا لك من شهادات المعاصرين من العلماء ما لا يترك للريب محلاً

٢ يقضي الدين بعبادة الله الباطنة والظاهرة

ظهر لك من البراهين الثلاثة السابقة لاسيما اوّلها انّ الانسان من طبعهِ وجوهره دَيّن وانّ الدين لازمٌ لزوماً كلياً . وازيد انّ العبادة التي تقتضيها الدين لا تكفي ان تكون باطنة فقط محصورة في اعمال النفس الإرادية والفهنيّة . بل يجب ان تكون ايضاً خارجة ظاهرة تتناول بعض الاعمال الحسّية فتكون مترجمة عن عواطف النفس وتشرك الجسد في تأدية فريضة الاكرام والخضوع لبارئهِ . وذلك تُسلّم لنا بهِ ان اعتبرتَ أنّ الدينَ دين الانسانِ . والانسان من حيثيّة جوهره مركّبٌ من نفس وجسد . فوجب التعبُّد لا على النفس وحدها بل وعلى الجسد ايضاً

وان شئت زيادة ايضاح في ان الدين فرض على الانسان كلهِ قلت ان ذلك يُستدَلّ عليهِ . (اوّلاً) بأنّ العلاقات التي ذكرناها سابقاً بين الله والانسان تُطلق على هذا بكلّيتهِ من حيث نفسهِ وجسدهِ . لانّ الله لم يخلق نفس الانسان بمعزل عن جسدهِ بل نفساً وجسداً بَدَعَهُ وكذا قل عن باقي العلاقات بين العبد والمعبود . (ثانياً) بانّ الانسان من طبعهِ ان يُظهر بعلاماتٍ واشارات ومظاهر خارجيّة جسديّة ما يجول في سريرتهِ من الحبّ والاكرام وغير ذلك من العواطف . بل اقول انّ تلك العواطف وما ضاهاها لا دوام لها في القلب ولا تُتمّم شيئاً فشيئاً على ممرّ الايام ان تضعف وتزول ان لم يكن لها من الاعمال والمظاهر الحسّية الجسديّة ما يجعل الانسان ان ينفعل لها انفعالاً كاملاً مناسباً لطبيعتهِ الروحية الجسدية فيكون لها من ذلك ما يحفظها ويعزّزها . (ثالثاً)

بأنّ الدين كما سبق القول رباط وعلاقة بين اعضاء الهيئة الاجتماعية . والحال انهُ لو كان الدين باطناً فقط لما امكن ان يكون رابطاً اجتماعياً . وهذا لا يتحقّق الّا ان تكون هناك دلائل حسية تنبئ بمضمونات القلوب — والّا استحال على الهيئة من حيث هي هي ان تؤدّي للخالق وربّ السلطة فريضة العبودية والشكران

ومن هنا ترى شطط بعض السفسطيّين اذ زعموا فيما يزعمون ان الدين حقهُ ان لا يتعدّى خزائن القلوب . وكذا يتضح لك انهُ قد اخطأ ايضاً المرمى ذاك الذي ذهب الى ان الاديان يجب ان تنزوي بين جدران الهياكل

٣ دحض حجج المعترضين

على ان المقاومين لحقيقة التي مرّ اثباتها يعترضون علينا ببعض اعتراضات ربّما دخلت على عقول القوم لما يجهدون في تزويقها بزخرف الكلام وتمويه بطلانها وَوَهْنها باسهاب المقال وسرد الادلّة السفسطية القارفة . ولعَمْرُك انّ حُجَجهم كلّها لو أُردِدَت ببسيط العبارة وموجزها وجُرّدت عن المُمَيِّات لَما اشكل على فهم فسادُها . وبالحقيقة انها لأوهى من نسيج العنكبوت كما ستصدقنا ان امعنتَ نظرك فيها

١ يقولون مثلاً : ليس الله في عَوَز الى عبادتنا وايّ حاجة لهُ الى صلواتنا وتعبُّدنا . اذ لا داعي هناك يحمل الله على ان يتطلّب منّا عبادةً وتديّناً

أُجيب اننا نُسلِم بان الله لا عَوَز لهُ الى الانسان والى ما يفعلهُ الانسان او يقولهُ . وما من عالم من علمائنا يذهب الى ان تديّن الانسان ينفع الله نفعاً ما او يزيدهُ كمالاً من الكمالات . وليست تلك حجّتنا ولا على ذلك الركن اقمنا برهاننا . انما اراد الله الانسان دينّاً لانهُ من الواجب وجوباً مطلقاً كليّاً ان تجري المخلوقات على خطّة ما تقتضيهِ جواهرها وطبائعها . وطبيعةُ الانسان الناطقة تقتضي ان يُدرك علاقاتهِ مع ربّهِ فيعترف بها ويخضع متعبّداً

ولعلّك تردّ عليّ وتقول : ان كانت تلك ارادة ربّك فلِمَ يا ترى لا يلاشي اللهُ الكفرة من وجه الارض ولم يدع الفساد ينتشر ويفشو بين الناس . (أجيب) انّ هذا الريب يزيلهُ من ذهنك أن تعتبر انّ الله خلق الانسان حُرًّا وقد تركهُ حرّ العمل في امر التدين والتعبد كما في سواهُ . حرّ الانسان ان يترك الدين او يمتهنهُ وحرّ هو ان يأتي اعمالاً تنهاهُ

عنها ارادةُ العليّ . لكنهُ سيأتي يومٌ وهو لا محالة آتٍ بهِ يحاسبهُ الديّان عن كل ما اقترفتهُ يداهُ ومالَ اليهِ قلبهُ وعندئذٍ ينتقم الخالق لما سنَّتهُ ارادتهُ الصمدانية على بني البشر ولا يكون عِقاب الكاذبين باقلّ تجديدٍ لعدل البارئ مما هو جزاء الصالحين الذين لحبّهِ وصلاحهِ وجودهِ . وعليهِ ترى انَّ الله بحكمة صنع الانسان حرًّا وتركهُ حرًّا من حيث الاتصاف بالدين وعدم الاتصاف بهِ وليس هناك امرٌ يُجحف بحقوق المالك العليّ

٢ ويعترض المعترضون انَّ عبادة الانسان ناقصةٌ فاذًا غير لائقة بجلال الاله ورفعتهِ زاعمين انَّها تحطُّ من قدر المعبود حطًّا لا يقبلهُ العقل . اذ لو قابلناها بعلوّ الاله وكمالهِ لبانت لنا انَّها لأقرب ان تكون اهانةً من ان تكون اكرامًا

(جوابنا) انَّهُ ليس يحطّ قدر الاله الخالق انَّ الخلائق التي بدعها تجري على سننها وتعمل بمقتضى طبيعتها وجوهرها . ثم لقد تنازل الله وجبل الانسان على صورتهِ فلمَ يا ترى لا يتنازل ويقبل سجودهُ وعبادتهُ . أيكون لائقًا بالله ان يخلق الانسان وغير لائق بهِ ان الانسان يعرفهُ ويحبهُ ويكرمهُ ؟

٣ ومنهم من يقول : ما الدّين الّا مجموع اوهام ومعتقدات فارغة استنبطها ارباب السياسة والحكّام والكَهَنة وسيلةً لبلوغ مآربهم

(اجيب) ان القول بان الدين اخترعهُ ارباب السلطة لزعمٌ فارغ ليس لمن يزعمهُ مستند تاريخي يستند اليهِ ولا استدلال واقعيّ يستدلّ بهِ ويُركن اليهِ مقالهُ . بل ان تصفحت تواريخ الامم تجد انَّ الامر على عكس ما يُلفقونهُ . هذا من حيث واقعيّة الامر . امَّا اذا اعتبرتَ هذه المسألة اعتبارًا عقليًّا فيظهر لك جليًّا عدم امكان ما ذكروهُ . اذ لا سياسةَ الّا في الهيئة الاجتماعية وبعدَ تنظيم هذه الهيئة . فهذه قبل تلك وهي اي الهيئة الاجتماعية تقتضي الدين بل كما سبق القول يكاد يستحيل ان يقوم لها قائم ان لم يكن الدين لها اساسًا وعمادًا . فاقتضاء الدين اذًا قبل اقتضاء السياسة وهو من المحال ان يصدر عنها فانَّ الشيء لا يصدر عمَّا يَعقُبهُ ولا يسلّم العقل بامكانيَّة وجود المعلول قبل علّتهِ . وبما انَّ السياسة بعد الدين ولا تسبقهُ في نظر الفهم فلا وجه للقول بانها علّتهُ

٤ وكثيرٌ ما يحتجّ علينا المقاومون بانَّ هناك عددًا عديدًا من القوم المتديّنين يرتكبون الخسّ الفواحش ولا يردُّهم دينهم عن تتبُّع طرق الفساد . اذًا لا فائدة للدين في الهيئة الاجتماعية ولا فضل لهُ على الكفر ولعلَّك ترى مَنْ لا دين لهم قد اتصفوا

بفضائل جمة وألفوا محاسن يَعترف بها المنصفون ويلهج بذكرها الواصفون

نقول انَّ هذه الحجة ليست من السداد على شيء عند مَنْ قدَّر الحوادث قدرها وأرجع المعلولات الى عللها. أرَ هل فساد بعض القوم المتديِّنين وشرّهم ينشأ عن مباشرتهم امور الدين وقيامهم بموجباته ؟ انَّما ذلك لانَّ فعالهم تناقض معتقدَهم أو لأنَّهم ليس لهم من الدين الَّا اسمُهُ

امَّا اصحاب الكفر فهم بعكس ذلك فانَّ افعالهم اذا حَسُنت تُخالف معتقدَهم كلَّ المخالفة فلو اعتبروا ما هم عليهِ من إنكار وجود الله ديَّان عليم وسلكوا مسالكهم بمقتضى هذا الوهم لأصبحوا وحقِّك شرَّ الملا ولَرَبا فسادهم وإجحافهم بالحقوق على كل ما تتصوَّرهُ الاوهام. امَّا فضائلهم وتَزر ما تجدُهُ عندهم من اعمال الصلاح فصدرُهُ احد امرين امَّا لاقتباسهم بعض مبادئ دينية يعملون بها ولا يفطنون اليها واما لحبهم الراحة والكينة والشرف العالميّ او خوفاً مما تجرُّهُ عليهم مبادئهم ان عملوا بها من العواقب الوخيمة

٥ واليك اخيرًا ما يرتأونهُ من عدم وجوب العبادة الظاهرة قائلين: انَّما الله روح اذًا يجب عبادتهُ والسجود لهُ بالحقّ والروح فقط. لاسيما وان المسيح ذاتهُ علَّم هذا التعليم اذ قال: «لأنَّ اللهَ رُوحٌ والذين يَسجُدُون لهُ فبالروح والحقّ يَنبَغي أنْ يَسجُدُوا» (يوحنا ٤: ٢٤)

اجيب انَّ الله لا شكَّ روح متنزّه عن المادَّة. ولكن أينتج عن ذلك انَّ عبادة الانسان لهُ يكفي ان تكون عبادة روحية ليس للجسم فيها مشترك ؟ كونُ اللهِ روحًا انما ينتج عنهُ ان عبادة الانسان يجب ألَّا تكون قاصرة على امور جسدية ماديَّة ظاهرة. بل ينبغي ان تكون ممتزجة بعبادة باطنة روحية تصدر عنها صدور الزهور والثمار عن الشجر. امَّا كلام المسيح السيد فما كان الَّا لتقريع اليهود وتشنيع طريقهم لانهم كانوا يقصرون عبادتهم على بعض مراسيم ماديَّة ومظاهر خارجة غير مكترثين بتعبُّد القلوب وصدق العواطف. فما كانوا الَّا مُرائين يغشُّون الناس ويطفونهم بما يتباهون بهِ في اعين القوم من شعائر الدين. على ان العبادة الظاهرة اللهمَّ ان كان مصدرها القلب قد حرَّضنا عليها المسيح ربُّنا باعمالهِ واقوالهِ وامر بها مرارًا تارةً بمضمون الكلام واخرى بصريحهِ

ولا تقل انَّ الله انما ينظر القلوب فيرى عواطفها وتعبُّدها وخضوعها لهُ سبحانهُ وتعالى فلا حاجة لهُ الى ادلَّة ظاهرة حسيَّة تنبئهُ بها. وعليهِ فلا نفع من العبادة الظاهرة ولا

طائل تحتها . نعم وكل عاقل يقرّ ويسلم بانّ الله عالم الخفيّات وكاشف البواطن ونحن لم نقل بوجوب العبادة الظاهرة استنادًا على أنها لازمة لإطّلاع العليّ العليم على ما انطوت عليهِ الصدور . انما اتخذنا الدليل على وجوبها وضرورتها من اعتبار جهة الانسان ولانهُ بكليّتهِ خليقة ربّهِ وكلّ ما فيهِ روحًا او جسمًا يجب ان يشترك في تسبيح الربّ المبدع المالك . زد انّ العبادة الظاهرة في حدّ ذاتها وبالنظر الى قوى الانسان تساعد على احياء العبادة الباطنة وتعزيزها وتنبّه المرء على القيام بها والمداومة عليها

هذا وكنّا نودّ ان نختم هذه النبذة الوجيزة باثبات شيء ممّا ورد في مصنّفات مشاهير الكتّاب رائعة الشعوب المتمدّنة نظمًا ونثرًا لبيان ما نحنُ بصددهِ بل لكنّا ادرجنا اقاويل صريحة لكثير من زُعماء الكفرة يذعنون للحقّ من حيث لا يدرون او يقرّون جهارًا بشططهم رغمًا عن معاطسهم الّا ان ذلك يؤدي بنا الى الطول المملّ ونكتفي بنقل الكلام الشريف الذي فاه بهِ السيّد الشهير جمال الدين الافغاني في ختام مقالتهِ على الدهريين :

« لو خويت القلوب من الدين لسكنتها شياطين الرذائل وسُدّت عليها طرُق الفضائل ومن اين لِمُنكر الجزاء أن يكفّ نفسهُ عن خيانة او يترفّع بها عن كذب وغدر وتملّق ونفاق . وقد تقرّر ان العلّة الغائية لاعمال الانسان هي نفسُهُ كما سبق فان لم يؤمن بثواب وعقاب وحساب وعتاب في يوم بعد يومهِ فما الذي يمنعهُ عن ذمائم الفعال وخصوصًا اذا تمكّن من اخفاء عملهِ وأمِن من سوء عاقبتهِ في الدنيا او رأى منفعتهُ الحاضرة في ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سَنَن الفضيلة وايّ حامل يحملهُ على المعاونة والمرادفة والمرحمة والمروّة وعلوّ الهمّة وما يشبه ذلك من الاخلاق التي لا غنى للهيئة الاجتماعية عنها . ولئن وُجد في احد الجاحدين شيء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضةً للفساد او كان ابتر ناقصًا لفقْد ما يمدّهُ من سائر صفات الكمال . . .

« فلم تبقَ ريبة ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطهُ شيء من الباطيل من يزعمونهُ ولا يعرفونهُ فلا ريب أنهُ يكون سببًا في السعادة التامّة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديهِ في جوادّ الكمال الصوري والمعنوي ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدنية لطلّابها بل يفيض على المتمدنين من دسم الكمال العقليّ والنفسيّ ما يظفرهم بسعادة الدارين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

الفرسان الالمان في سورية

للاب اميدي لوريول اليسوعي

انَّ ألسنة الجرائد لا تزال منذ اشهر تحدث القرّاء عن قدوم جلالة القيصر الالماني الى اخاننا الشرقية فتراها تسترسل في الكلام عن صفات هذا الرجل العظيم وتطنب في محامده وتابج في مديحه كما انَّها تصف وصفاً مُسهباً التهيئات الفاخرة التي تقدَّمت بإجرائها الحضرة العلية الشاهانية حفاوةً بضيفها الكريم

هذا وقد احببنا نحن ايضاً في هذه الفرصة ان نحيي اثرًا قديماً كان في انشائه لالمانية الكاثوليكية في المشرق مجدٌ اثير لنصارى القرون المتوسطة خير كبير . ألا وهي رهبانية الفرسان الالمانيين (Chevaliers de l'Ordre Teutonique) التي نشأت في فلسطين واتسعت الى انحاء الشام فصار لها بين رهبانيات ذلك العهد المقام الحسن . ومقصدنا في هذه الأسمة الموجزة ان نشير الى تاريخها مجملاً مع ذكر بعض مآثرها في سورية

١ في نشأة رهبانيَّة الفرسان الالمان في سورية

نشأت هذه الرهبانيـة في اواخر القرن الحادي عشر في القدس الشريف وكانت نجمت فيها عدَّة رهبانيات أُخرى غايتها اسعاف ذوي البأساء وتمريض اصحاب العاهات على اختلاف اديانهم وطوائفهم وايواء الغرباء المقطوعين والذبّ عن حقوقهم في سلوك طرقهم . وهذه الفئات الدينية لها كلها الاعمال المبرورة والمآثر المشكورة كفى باسمها إشارةً الى مبرّاتها كفرسان مار يوحنّا المعروفين ايضاً بفرسان رودس وفرسان مالطـة ويدعوهم العرب بالاسبتلار (Hospitaliers) وكفرسان القديس لازر المعتنين بخدمة البُرص وفرسان القبر المقدَّس للمدافعـة عن قبر المسيح . وفرسان القديسَيْن قزما ودميانوس لفكّ أغلال الأسرى وافتدائهم بالدراهم وكفرسان الهيكل الذين ورد ذكرهم مرارًا في تواريخ العرب وهم يدعونهم بالدراوية ويطرئون حماستهم . وكانت هذه الرهبانيات تضمُّ كلّ طوائف العرب فتقبل اعضاء من أُمم شتَّى كما انَّها تسعى في سبيل صلاح الجمهور بقطع النظر عن اجناسهم واوطانهم

بيد انهُ لَمَّا كانت جموع كثيرة من الالمان تهرع لزيارة الاراضي المقدَّسة اخذت تضيق بهم المآوي في اورشليم وهم مع هذا ينطقون بلغةٍ لم يدركها سواهم من الفرنج فاصابهم لذلك بعض العناء في تحصيل معاشهم آونة تَكْثُرهم في بيت المقدس وأداء فرائضهم الدينية فيها. فاحسَّ بهذا الخرق رجلٌ من اشراف الالمان من آل الثروة كان توطَّن بيت المقدس هو وزوجتهُ فتحفَّز لرتقهِ وتلافى الخلل بان خصَّص كنيَّة وافرة من المال لانشاء مأوًى لا يسكنهُ سوى مواطنيهِ الالمانيين. فما نجز بعد زمن قليل مشروعهُ الخطير حتى صار ذلك المقام مقصدًا لعامَّة زوَّار المانية. وكان في ضمن المأوى كنيسة متَّسعة الارجاء دشَّنها بطريرك اورشليم ودعاها كنيسة السيدة مريم الالمانية (١). ولمَّا كان موقع هذه الكنيسة على جبل صهيون دُعيت ايضًا بسيِّدة جبل صهيون ولقبت رهبانيَّتهم بفرسان سيدة صهيون. فهذا الاثر القديم هو الذي حمل الالمانيين مؤخرًا على ان يسترخصوا في السكنى على هذا الجبل ليحيوا بذلك ذكر مفاخرهم السابقة

فسمع احبار رومة العظماء ببناء مأوى الالمانيين فسُرُّوا لذلك سرورًا عظيمًا ومنحوا الانعامات الخاصَّة لذويهِ. وكان يترأسهُ السيِّد الذي انشأهُ وصرف عليهِ مالهُ للقيام بشؤونهِ. ولكن لم يلبث ان أنفد مالهُ تمامًا فاضطُرَّ الى طلب الصدقات من المحسنين فجمع منها جانبًا امكنهُ من القيام بامر الزوَّار اخوتهِ. بل تأثَّر بعض اصحاب الخير من غيرتهِ المضطرمة في سبيل البرّ فتتلمذوا لهُ ونبذوا ملاذَ العالم ليخدموا الفقراء والمرضى على مثالهِ وابرزوا لذلك نذرًا خصوصيًّا. فعملت سيرتهم الصالحة في قلوب كثير من اعيان الالمانيين نزلاء فلسطين فزهدوا في العالم ولبسوا الثوب الرهباني وصرفوا مالهم في وجه الله وسبيل الخير

ثمَّ لَمَّا رأوا انَّ كثيرًا من الالمانيين الذين يتجشمون الاسفار الى بلاد فلسطين ربَّما احاقت بهم الاخطار في طريقهم تعهَّد الاخوة على ان يحاموا عنهم ويردُّوا غارات المعتدين عليهم. فدُعوا لذلك بفرسان الفئة الالمانية وكان هذا نحو سنة ١١٢٢ مسيحيَّة. واثبت البابا وان سيلستين الثاني وأدريان الرابع هذه الرهبانية الجديدة ببراءتين اطلقا فيها اللسان بالثناء على اعضائها

---

١ راجع تاريخ المشرق ليعقوب دي ڤتري الجزء الاول الفصل ٦٦

٢ في نموّ رهبانيّة الفرسان الالمان وازدهارها في سوريّة

فلم تعثم رهبانية الفرسان الالمان بعد ما حازتهُ من الحظوى والالتفات لدى الاحبار العظماء ان تمتدّ وتنتشر فاضحت على مثال المحبّة الانجيلية شجرةً باسقة الافنان وارفة الظلّ طيّبة الاثار فابتنى اصحابها مستشفيات واسعة ومآوي رحبة للغرباء في مدن فلسطين وسوريّة لاسيما في عكة

فبقي امر الفرسان الالمان على احسن حال واشهى مرام الى ان تبدّدوا سنة ١١٦٧. ولمّا بلغ ساحل الشام فردريك دي سُواب ابن الملك فردريك بَربروس كان اوّل ما فكّر فيهِ ان يجمع امرهم فتمكن من ذلك واخذ الفرسان يهتمّون بالجرحى والمرضى النصارى . وقد امتاز بينهم رجال من شرفاء مدينتَي لوبيك وبريم ادّى بهم حبّهم للقريب الى ان يبذلوا النفس والنفيس في تمريض ذوي العاهات

وفي تلك الاثناء اقام فردريك مركزًا لرهبانية الفرسان الالمان في مدينة عكّة الحريزة وبنى لهم هنالك ديرًا كبيرًا ومستشفى يسكنونهُ ويمرّضون فيهِ ذوي الاسقام سنة ١١٩١ . وكان موقع هذا المستشفى جنوبي المدينة يقرب الباب المعروف بباب القديس بيقولا وكان قبلًا يخصّ الارمن فخرب فاعطاهُ الملك غي دي لوسينيان مُلكًا للفرسان الالمان . وسنّ لهم فردريك سننًا انتخبها من قوانين الاسبتلار وقوانين الدواويّة وفقًا لغايتهم

ثم كتب ملك الالمان الى البابا سلستينوس الثالث يطلب اليهِ ان يثبت هذه الرهبانية بسلطتهِ العظمى فاجاب الى طلبتهِ ببراءة ابرزها في ٢ شباط سنة ١١٩٢ وعيّن للفرسان قانون القديس اوغسطينوس وقسم الرهبان الى ثلاثة اقسام منهم كهنةٌ لا يعتنون الّا بالروحيّات ومنهم فرسان من البيوتات الشريفة للمدافعة عن صوالح الزوّار ومنهم اخوةٌ شأنهم مساعدة الفيئتين الاوليين في امورهما . واختار للرهبان كثوبهم الخاصّ شملةً بيضاء يزينها صليبٌ اسود اللون مفضّض الحاشية

وكان عدد هؤلاء الفرسان بادئ بدء محصورًا لا يتجاوز الاربعين عدًّا لكنهُ بعد زمن قليل أُلفيت هذه السنّة فاخذت الرهبانية بالازدياد وغا عددها غوًّا كبيرًا حتى انتشرت في انحاء الشام لاسيما سوريّة الجنوبية . وكان اوّل من اقيم رئيسًا عامًّا على هذه الرهبانية في عكّة رجلٌ من فضلاء عصرهِ يُدعى هنري قَلْبوت دي بَيْنهَيم وكان وَلُوعًا بصالح جمعيّتهِ

فحسن حالها وقوي دعائمها وتبرع عليها المحسنون بمالٍ وافر واقطعوا رهبانيتهُ الاقطاعات الواسعة ومما نالهُ من الانعامات ان يزين اربعة اطراف ثوبهِ بزهرة السوسن(lleur de lis) وهي شعار ملوك فرنسة. وكان من عادة هؤلاء الفرسان ان يجتنبوا ثلاثة افراس مطهمة ويصحبهم سلاحدار يحمل رمحهم وترسهم

صورة الفرسان الالمان ولبسهم

وقد بلغت هذه الرهبانية اوج عزها في ايام رئيسها الكبير هرمان دي سلزا. وكان هذا من مشاهير قومهِ مزدانًا بصفات عديدة ومزايا فريدة ذا فضل وفضيلة فكلفهُ اخوتهُ بعد الرئاسة سنة ١٢١٠ فنهض بهِ اتمَّ النهوض. وقد ذُكرت لهُ مآثر تنبئ بما طُبع عليهِ منذ نعومة اظفارهِ من الصلاح والبرّ فبرَّز بين اخوتهِ لا يُشقّ لهُ غبار ولا يوطأ لهُ مضمار مع حمية دينية لم يُساوهِ فيها احد

وعُني بتوسيع نطاق رهبانيتهِ ومن جملة ما اقتناهُ لها من الاملاك سنة ١٢٢٠ قرية المَعَلية وهو القصر المعروف بقصر الملك ابتاعهُ من الكنت دي صنبغ اوثون بسبعة آلاف

من الفضة. وكان لهذا القصر مزارع وقرى يبلغ عددها سبعة وثلاثين مكاناً. وفي سنة ١٢٢٨ استملك قصراً خربًا يدعى مُنفور (Monfort) فرممهُ واحلَّ فيهِ رهبانهُ وجعلهُ حصناً منيعاً لا يطمع فيهِ طامع وضع فيهِ سجلاَّت الرهبانية وكنوزها. وهذا الحصن هو الذي يُعرف عند العرب بقلعة قُرَين ذكروهُ مرارًا في تواريخهم وكان موقعهُ على جبل بقرب ساحل بحر الروم جنوبي وادي القرن ليس بعيدًا من صفد. ومن جملة املاكهم في بلاد البشارة كفر ياسين وصفد والبطَّة وغير ذلك. ولمَّا صارت الرئاسة الى حنُّو دي سَنغِرهَوزن اتَّسعت املاك الرهبانية في جنوبي لبنان فكان لهم في الشوف جزّين والجدَيدة وتيرون وبكاسين وقَيتولة ونيحا والمختارة وكفر نَبرَخ ودير القمر وكفرفاقود والفريديس ومين زحلتا وبعقلين والدوير واللويزة وديركوشي وقُرْنَيْه والمُغيثة والكنيسة وغيرها

٣ في اواخر رهبانية الفرسان الالمان

انَّ احوال هذه الدنيا كما لا يخفى دُوَل يوم لك ويوم عليك. ولمَّا كانت سنة ١٢٧١ اسلم الفرسان الالمان حصنهم القُرَين على الامان ورحلوا الى عكَّة. ولحسن الطالع لم يُفقد شيء من سجلاَّتهم الثمينة التي كانت مودعة في القرين وهي اليوم في مكتبة برلين الملَكيَّة

وبقي الفرسان الالمان في عكة الى سنة ١٢٩١ فركب قسمٌ منهم البحر الى قبرس فسكنوها مدَّة. اما اكثرهم فأبحروا الى اوربَّة واجتمعوا باخوتهم من الفرسان الذين كانوا توطَّنوا منذ نحو خمسين سنةً بعض جهات المانية الشمالية الَّا انهم وجدوا هناك قومًا من قدماء عَبَدة الاصنام البرابرة من اهل الغزوات الذين طالما هجموا على ممالك النصارى فأسروا ونهبوا. فجاهرهم الفرسانُ القتال سنين طويلة حتى قهروهم وفتحوا بلادهم واتَّخذوها لهم ملكًا يستغلُّون اراضيها ويستثمرون خيراتها

فلم تلبث هذه البلاد تحت حكم هؤلاء الفرسان ان تجاري بقيَّة الاقاليم الالمانية حضارةً وفلاحة فعُنوا بفلاحة الارض وشيَّدوا القرى ومدَّنوا المدن الواسعة في جهات ليڤونيه وسواڤية والكورلند فزهت بعد حين شجرة الدين وبسقت افنان الآداب والعلوم وانجلت غُمَّى الاوهام والجهل عن قوائم العقول. وكان الفضل في ذلك كلهِ لرهبانية الفرسان الالمان

اما بقيّة اخبار هؤلاء الفرسان منذ ذلك العهد الى سنة الغاء رهبانيّتهم سنة ١٨٠٩ فأمرٌ معروف لا حاجة الى ذكرهِ هنا. وما البقاء الّا للواحد القيّوم (١)

علّة القرن الاحمر في دود التز

للشاب الاديب سليم افندي اصمر

انَّ هذه العلّة قديمة العهد في سوريّة وتعرف فيها باسماء مختلفة لان منهم من يسمّيها علّة القرن الابيض وغيرهم علّة الخرطوش والبعض علّة سكردينو تعريب المُسكَرْدين (Muscardine). ولم يكن احدٌ في هذه البلاد قبل السنوات الاخيرة ليخاف منها شرًّا بل كانوا يعدّون ظهورها كعلامة الاقبال ويطمرون الدود المُصاب بها في وسط الاطباق. فلمّا تكرّر منهم هذا العمل على سنوات كثيرة بظروف واحوال مُساعدة على سرعة انتشار العُدْوى جاء من اقوى العوامل على سريان المرض واشتداد فتكهِ في الجبال وفي سهول بيروت لاسيّما في مواسم السنوات الثلاث الاخيرة وخاصّة في موسم السنة الجارية

وقد بلغ تفشّيهِ مبلغًا عظيمًا فلم تقتصر الخسارة الى نقصان في وزن الشرانق بل قد رأيتُ بعيني اخصاصًا برمّتها اتلفتها هذه الآفة الخبيثة التي كان مربّو الدود في اوربّة يحسبونها قبل ظهور المرض الفلفلي او الزعراني اعظم علّة تصيب المواسم. ولهذا فان بعض الملّاكين في لبنان ليأسهم من استئصال الداء عدلوا عن تربية الدود وتخلّوا عنها موثرين عليها بيع ورق التوت وكان الواجب على من وصفنا لهم العلاج ان يعمدوا الى استعمالهِ وتجربتهِ بدلًا من ان يتعلّلوا باذيال اليأس الذي هو مضرّ بصوالحهم وصوالح البلاد

ولعلّهم متى اطلعوا على طبيعة المرض ووسائل انتشارهِ وسهولة توقيف سيرهِ تنتعش

---

١ راجع الكتب الآتية التي اختصرنا عنها مقالتنا: Rey: *Colonies franques en Syrie*; id., *Monuments de l'Architecture militaire des Croisés en Syrie*; Conder: *Survey of W. Palestine, Memoirs*; Rhöricht: *ZDPV*, X, 26, ; *Tabulae Ordinis Teutonici*; Darras: *Hist. Eccl.* XXIV et XXVII, etc.

منهم العزائم ويقبلون بعد انقضاء عذر الجهل عنهم على الاجتهاد والعمل لطرد العدوّ وابعاده لا يخفى اننا بفضل المباحث الدقيقة التي ماثلها كل من الاستاذين باسي ولودي (Bassi et Lodi) وتأيدت بالتجارب والامتحانات التي اجراها العالم اودوين (Audouin) الافرنسي صرنا نعرف الآن انّ علّة القرن الاحمر تتأتى عن تولّد نبات حَلَمي او فُطري في الدودة او في الزيز يسمى بوتريتيس باسيانا (Botrytis Bassiana) نسبةً الى الاستاذ باسي الذي هو اوّل من اثبت ماهيّتهُ ووصف اضرارهُ سنة ١٧٣٥ على ان هذا النبات الذي طالما فتك بديدان القزّ ينتمي الى طائفة الهيفوميسيت (Hyphomycètes) التي هي نوع من انواع البيرينوميسيت (Pyrénomycètes) واحدى فصائل الاسكوميسيت (١ (Ascomycètes)

ان دودة القزّ متى أُصيبت بعلّة القرن الاحمر تحفظ ظواهر الصحة حتى قبل ان تموت ببضع ساعات . ومتى اوشكت ان تتلف تصير رخوةً ومترعّلة اما دمها فيقلّ جدًّا ويصير ذا حموضة غريبة متضمّنًا اشكالًا بأورية مشنّنة الزوايا من الحامض البولي (acide urique)

ثم انها تتمدّد متطاولةً على الجزاز (الجزّة) دون ان تأتي حركة وبعد مرور عشر ساعات او خمس عشرة ساعة على موتها يصير جسمها جامدًا سريع الانكسار متّخذًا بهيئة ما لصق به حتى يتوهّم من يراهُ أنهُ متحجر تحجّرًا . ويعلوهُ وقتئذٍ لون وردي خفيف وبعد مرور اربع وعشرين ساعة تتكوّن عليه من كل جهاته غبرة الى البياض . واذا تمكنت الدودة المصابة من غزل شرنقتها فلا تلبث ان تموت في داخلها بعد ان تنطوي على نفسها (تتكرنش) وتتصلّب وتجسو حتى ترنّ في الشرنقة كانها حصاة

---

١) اعلم ان الأسكوميسيت هي نباتات فطرية ذات خلايا كبيرة تتضمّن اربع اربع خلايا أخرى تعرف عند النباتيين باسم اسكوسبور (Ascospores) وهي تُبذَر وتؤلّف خليّةً في كبر الخليّة الاصليّة . وهكذا لا تمضي مدّة طويلة حتى تتولّد خلايا عديدة لكنّ اصل هذه النباتات الفطرية عبارة عن خليّة بسيطة لا نواة لها . ثم ان الخلايا قد تكون منفردةً وقد تكون مجتمعة في غلاف واحد

واما طائفة « الهيفوميسيت » فهي ادنى فئات النوع المعروف بالبيرينوميسيت تتذرّ في اصلهِ نفّاحات صغيرة للتناسل

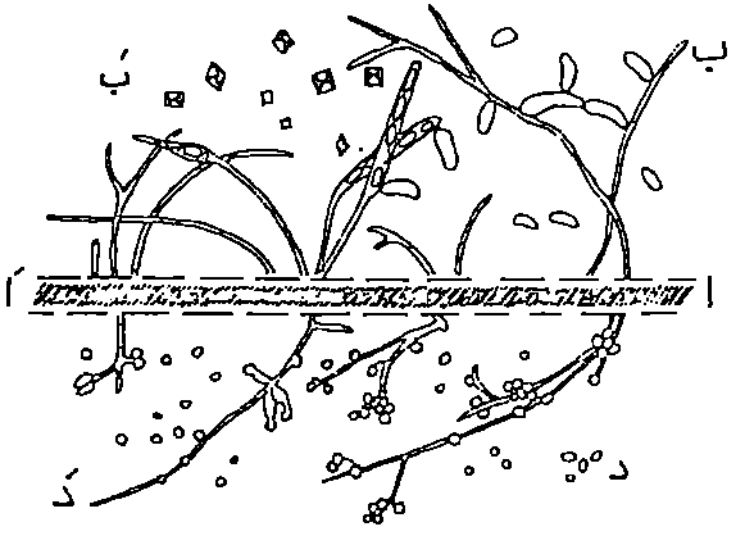

صورة قُطر المُسكردين (مكبَّر ٥٠٠ مرَّة على اصلهِ)

ا ا تَسك جلدتهِ — ب ب الالياف المشرة والجراثيم الوبائية — د د الجذور التي منها تتولَّد الجراثيم

وهذا المرض يصيب الدودة في كلّ اطوارها الَّا انَّهُ يصيبها عادةً في بدء الصومة الرابعة فاذا ظهر فيها قبل الطور فالاحسن ترك تربية الموسم لان الدود التي تتوصَّل الى صنع فياجلها تكون قليلة ولك ان تتأكد حينئذٍ انَّ البيت الذي تربي فيهِ موسمك هو موبوء بما انَّ العلَّة المذكورة لا تتولَّد مطلقاً في امكنة لم يسبق فيها ظهورها

ولقد اخبرني أحد مربّي القزّ في جنوبي لبنان خبرًا يؤيد ما سبق الكلام عليهِ قال انَّهُ شاهد اثناء تربية موسمهِ عام ١٨٩٥ بعض دودات مصابة بمرض القرن الاحمر فعملًا بالرسم السائد في البلاد استبشر خيرًا وتفاءل باقبال عظيم ولذلك حافظ على الدودات المذكورة ولا محافظةً البخيل على درهمهِ. امَّا في الموسم الثاني عام ١٨٩٦ فتكاثر عدد الدود المصاب بالمرض المذكور وفي عام ١٨٩٧ زاد كثرة ممَّا ادّى الى خسارة الخصّ برمَّتهِ. ولمَّا كان قد باع الجزّاز (الجزّة) الى صديق لهُ في احدى القرى المجاورة لم يلبث ذلك الصديق ان أُصيب موسمهُ في عامنا هذا بمرض القرن الاحمر

فان قيل كيف وباي وسيلة اتَّصلت العدوى الى بيتهِ اجبنا انهُ كان قد اعطى الجزاز علفاً للبقر التي عندهُ. ثم انهُ عمل من روثها أطباقاً لتربية الدود وهكذا سرت عدوى

المرض الى موسمه. فيتضح اذاً مما تقدم انّ القرن الاحمر هو علّة مُعدية الى حدّ فائق. ولكن لا بُدّ من الملاحظة ان بعض الدود يقاوم المرض اكثر من سواه كما انّ كمّية النفّاحات القُطريّة وحالة نموّها ودرجة الحرارة والرطوبة في الهواء تحدث فروقاً في النتائج الحاصلة

ويتفشّى الداء بانتشار هذه الجراثيم القطريّة . وقد وضح ان الوفاً من بذورها التي يبلغ قطر الواحدة منها ميليمين من الميليمتر تتطاير من خلاياها الاصلية عند ازدهارها وتفتّحها اما بطريقة القناة المَعويّة مع ما تأكله من ورق التوت او من مسامّ الجسم. وبناء عليه فانّ الدودة المصابة بالقرن الاحمر لا يُخشى منها عدوى رفيقاتها الّا متى ابيضّت جثّتها

وهذا هو السبب الذي يوجب على مربّي دود القزّ ان يبحثوا عن الدود الميت المصاب بالقرن الاحمر ويلاشوها قبل ان يتكامل تولّد الجُسَيْمات الحَلَميّة عليه. فانهُ حالما تجد الجراثيم احوالاً موافقةً لنموها تنبت وتُخرج برقاً فبعد ان يتمدّد هذا البرق بين النُّسُج ولاسيما النسيج الدهني يُحدث في بعض الاماكن انتفاخات تدريّة. ثم انهُ تتولّد عن هذه الانتفاخات عروق أُخرى فتُحدث انتفاخات جديدة في كل جسم الدودة ما خلا الغدّة الحريريّة. وبعد موت الدودة باربع وعشرين ساعةً يُبرز الفُطْرُ الى الخارج عروقاً تتكوّن منها تجيّرات وتُفسح الشجيرات مجالاً الى الجراثيم شبيهة بالتي كانت بدء المرض. أمّا العروق فتكوّن كثيرة جدًّا حتى تغطّي جسم الدودة كلّهُ وتصير اشبه بجزّة بيضاء. ويذهب مرتاني (Martagne) الى انّ الجراثيم تتولّد في داخل العروق الثمرة وتخرج من خلال الغشاء

على ان جميع الديدان التي تتولد من الفراش وكثيرًا غيرها من الحشرات هي معرضة كدودة القزّ للاصابة بمرض القرن الاحمر

وبين انتشار الجراثيم وموت الدود عشرة أيّام بوجه الاجمال. وعليه فاذا كان الدود يطلع الى الشيح قبل هذه المدّة فانهُ ينسج شرنقتهُ ولكن الشرنقة تكون اخفّ من وزنها المعتاد. والنسبة بين الشرانق المصابة بالقرن الاحمر والشرانق السليمة نسبة واحد الى ثلاثة. وعليه فاذا كانت ستمائة شرنقة صحيحة تزن اقّةً بعد طلوعها الى الشيح باثني عشر يوماً فانهُ يلزم لمعادلتها بهذا الوزن من الشرانق المصابة بمرض القرن الاحمر ١٨٠٠

شرنقة مما يساري ثقل الشرانق الناشفة التي توزن بعد عيد الصليب اعني بعد شهرين او شهرين ونصف لتخنيقها

ومما تجب ملاحظتهُ انّ الشرانق المصابة بالقرن الاحمر تخرج منها عند التَّسليك بسبب وفرة خثَّتها كمّية كثيرة من السوائل ثم ان هذه الجراثيم الفُطريّة تعدي ايضًا بالتلقيح فتموت الدودة وتتنفر بعد ثلاثة او اربعة ايَّام فقط

وتحفظ جراثيمُ النبات الحلمي لمدة ثلاث سنوات في الاقل قوَّةَ التولُّد حتى انها لتنبت وتفرع وتثمر احيانًا على اجسام غير آليّة مثل السكَّر والصمغ والقراء وما شاكلها

علاج علَّة القرن الاحمر

واعلم ان القرن الاحمر داء عياء لا يقبل الشفاء لكنَّهُ يوجد لحسن الحظّ علاج واقٍ منهُ بكل تأكيد وهو التبخير بالحامض الكبريتي الذي من خاصيَّتهِ ان يقتل جراثيم هذا الداء وفروعهُ. فقبل تربية الدود يُحرَق على مدَّة ٤٨ ساعة في المحلّ الذي يكون قد فُحِّص بالكاس وأُغلق اغلاقًا محكمًا على قدر الامكان كيلوغرامان او ثلاثة كيلوغرامات من الكبريت المسحوق مع منتين الى ثلاثمائة غرام من البُورَق وذلك لكل مئتي متر مكعَّب من الهواء. اما اذا كان الدود يُربّى في الاخصاص فالواجب اجراء مثل هذا التبخير لآلات القزّ بعد وضعها في محلّ تكون قد سُدَّت نوافذهُ سدًّا حسنًا. على أنَّهُ اذا اتخذ المربُّون بيتًا جديدًا وآلاتٍ جديدة فيكون ذلك افضل واحسن. وان لم يتيسَّر فلا بُدَّ من الاجتهاد للحصول على ما يقارب ذلك بواسطة التطهير كما سبق الكلام

فاذا شُوهدت مع ذلك اثناء التربية دودة قد أُصيبت بالقرن الاحمر فيجب ان يُحرق كل يوم اثر الاكلة التي تُعطى للدود ٢٥ الى ٣٠ غرامًا من الكبريت المسحوق مع غرامين او ثلاثة من البورَق تسهيلًا للالتهاب وذلك في كل مسافة مئة متر مكعب. ولك ان تحرق الكمّية المذكورة امَّا في مقلى فخّاريّة اعتياديّة او ان تضعهُ على قطعة من الآجر وتشعلهُ بخيطٍ من الكبريت. ولكن الافضل من هذا كلّهِ ان تصبّ المزيج المذكور على الجمر المتّقد فتحصل النتيجة طبق المرغوب

ويجب الكفّ عن احراق الكبريت متى بدأ الدود ينزل شرنقتهُ لانّ الحامض الكبريتي يؤثر في الشرانق فيغيّر جنسيّة الحرير

على ان استعمال الكبريت على الوجه المتقدّم ذكرهُ يجعل الدود بنجاة من القرن الاحمر كما انهُ يبعد عنهُ مرض الذبول في اكثر الاحيان. فانّ اتفق ظهور هذا المرض لعلّة من العلل فلا يكون عموميًّا بل يقتصر على اصابة قسم قليل من الدود فقط

فيتضح ممَّا سبق انهُ بهذه الوسيلة التي يسهل استعمالها على الجميع يستطيع كل احد ان يربي الدود حتى في الاماكن المرضة غاية التعرّض لداء القرن الاحمر لان الذين اصابوا نجاحًا في مواسمهم بهذه الواسطة بعد ان كانوا عدلوا عن تربية الدود هم كثيرون. ولا يخفى ان فائدة التبخير بالكبريت قد اصبحت في هـذه الأيام امرًا محقَّقًا لا ريب فيهِ مطلقًا

امَّا التبخير بالكلور فانهُ يأتي بالفائدة نفسها ولك ايضًا ان تستعمل دخان الحطب الاخضر فانّ الدود لا يتأذّى مطلقًا من كل هذه الامور

الَّا انّ هذه العلاجات التي وصفناها لا تعني المربّين ممَّا يجب عليهم من العناية بسائر احوال الدود الصحيّة ومن ثمَّ يتعيّن عليهم ان ينزعوا الدود المريض وجزازهُ وينقلوا ذلك كلهُ مع تجنب حصول الغبرة الى محلّ بعيد ويعتنوا بتهوية المحلّ وتعجيل سير الدود باعطائهِ اكلات خفيفة ومتكاثرة

ولا محلّ للكلام على انتقال مرض القرن الاحمر بالوراثة لان الدودة المصابة بهِ تموت دائمًا قبل انّ تصير فراشةً. وبناء عليهِ فان جرثومة هذا الداء لا تقوى اصلًا على الدخول في البيضة. وبعبارة اخرى نقول ان القرن الاحمر هو دائمًا مرض عرضيّ ولو كان حلميًّا كالداء الفلفلي

ومن الضروري جدًّا لمربّي الدود ان يتضافروا ويتكاتفوا على اتخاذ الوسائل الضرورية لصحة مواسمهم. فانَّ تهاوُن واحد قد يجرّ العُدْوى الى مواسم قرية برمَّتها فالامر اذًا في اعلى درجة من الاهمية. ومن الضروري الالتجاء الى رجال الحكومة متى كانت الصوالح الشخصيَّة لا تحمل اصحابها المحافظة على التدابير الصحيّة الضروريَّة في مقاومة آفة المواسم

مَن يموت فجأةً ؟

للدكتور فيلب افندي بركات

ذاك سؤالٌ يُلقى على الطبيب مرارًا فيجيب عليهِ مستندًا الى مبادئ علمية وضعها الطب واثبتها الاختبار . وربَّما فحص الطبيب شخصًا اقبل عليهِ فيحكم بموتهِ فجأةً لاختلال يراهُ في تركيب اعضائهِ او فسادٍ في عُنصرهِ . فالطبيب اذًا عالمٌ بمستقبل الانسان بل هو عليمٌ بماضيهِ وحاضرهِ . ألا ترى انَّ الحكومة تكلفهُ بتحقيق سبب الموت فتعرض على نظرهِ جثَّة الميت ليحكم في علَّة مفارقتهِ الحياة . امَّا معرفتهُ بالعلل الحاضرة فذلك امرٌ مقرَّر لا يختلف فيهِ اثنان . ولم اذكر توطئتي هذه عن كبر او غطرسة تكوني طبيبًا حاشا وكلَّا ولا يخفى عليَّ انَّ القرَّاء يطلبون منَّا معاشر الاطبَّاء معارف عظيمة دقيقة تستغرق من العمر اطولهُ ومن العناء والاجتهاد اشدَّهُ واقواهُ . ولذا أتلمس من المطالع المنورة واراني احقَّ بها من سواي وما كمال العلم الَّا لله فانهُ وحدهُ الموفق الى الصواب

يُطلق في الطبِّ اسم الموت الفجائي على الحوادث التي يأتي فيها الموت بسرعة اي بمدَّة بعض ثوانٍ او ساعات وايضًا بضعة ايَّام لكن بصورة غير منتظرة فيضرب شخصًا كان معافىً او لم يكن فيهِ اتزعاج مهمّ بالصحة او بالحري يضرب شخصًا يظهر لغيرهِ بانهُ متمتع بالعافية

وقبل ان نذكر اسباب الموت الفجائي علينا ان نعلم ان بعض الناس اشدّ تعرّضًا من سواهم اليهِ مثل الكبيرين والمسنين والحديثين في السنّ

١ الموت الفجائي في الكبيرين والمسنين والاحداث

انهُ لامر معلوم ان الامراض الحادَّة في الكبيرين تتبع طريقًا خدَّاعًا فان عللًا عظيمة خطيرة اذا اصابت فيهم عضوًا لا تؤثر في سائر الجسم اعني ان المرض يسري فيهم بشكل لطيف الظاهر فلا يطَّلع على سوء عقباهُ الطبيب الجاهل . وقد رأينا مرارًا اشخاصًا مصابين بامراض حادَّة ماتوا فجأةً في الطريق بينما هم ذاهبون للشغل او التنزُّه واليك مثلًا حديث العهد

قضى رجلٌ عمرهُ اربعون سنة صحابةَ يومهِ يشرب المسكر ثم تنازع اخر النهار مع صاحب الحانة فتضاربا فقادهُ الشرط للسجن لانهُ سكران ولما كان الغد وجدوه ميتاً فظنّت الحكومة أنهُ متأثرٌ من الضرب فامرت بتشريحهِ فتحققت انّ الذى اماتهُ هو التهاب الرئة الصديدي الناتج عن السكر

وقد ذكر بعض الاطباء حادثةً جرت لاحد رجال الشرطة وُجد ميتاً بعد ان قضى ليلتهُ شرباً وسكراً مع رفاق لهُ . وكان يزعم ان ملازمة الخمر تخفف عنهُ وجعاً فيهِ وعند تشريح الجثة وجد الطبيب فيها التهاباً في الكبد وصفاق البطن سببهُ الافراط في الشرب

ويموت اكثر المسنين فجأةً لأن اعراض الامراض الحادة فيهم كأمراضها غير المؤلمة في الصغيرين . والعلات التي تكون في غيرهم ثقيلة قوية تراها فيهم خفيفةً ضعيفة . مثلاً اذا اصابهم التهاب في الرئة لا يشعرون كغيرهم بنخس شديد في الخاصرة ولا بعُسر تنفُّس كبير ولا بسُعال متواصل كما نشاهد ذلك في الشبان . واعلم ان المسنين لا يقوون على مقاومة الأمراض مثل الشبان لسبب تقدمهم في السنّ وضعف اعضائهم فيموتون من التهاب رئةٍ او التهاب دماغ او من اختلال في الدورة الدموية . وكثيراً ما حدث الموت الفجائي في المسنين عند بنائهم على اهلهم . وقد وُجد في حوادث كثيرة موتى في بيوت الحلاقة عند الموسات . وكانت الحكومة تظنُّ بوقوع جريمة قتل فتُضطرّ الى ان تأمر بتشريحهم فلم يجد المشرّحون سبباً لموتهم غير التقدم في السنّ الذي يورث الضعف في اعضاء الحياة الرئيسية . وقد احصى احد الاطباء ٣٥ حادثة كان فيها الموت فجائياً في اشخاص اوهى عمرهم على الستين سنة

اما الموت الفجائي في الحدثين بالسنّ فانهُ ناتج عن آخر درجة مرض سرى في جسمهم بنظام لكنهُ لم يُعرَف لأنّ امراض الصغار يصعب تشخيصها لسببين الاول عدم اعتناء بعض الوالدين باولادهم والثاني لانّ الطبيب لا يفهم غالباً من الصغار الّا الصراخ فيموتون فجأةً بعد التهاب رئة او تولةٍ صدريّة خانقة وهي امراض شائعة في الاطفال تصيبهم بارجز الاوقات . ويحدث فيهم الموت بغتةً اذا استنزفوا موادَّ من المجاري الهوائية وربما كان سبب الموت الفجائي فيهم تشنُّج المزمار لكنهُ لا يتسلل غالباً من اول نوبة بل بعد نوبات تصيبهم دون ان يُنتبَه اليها وكم من مرّةٍ مات الطفل نائماً في سريرهِ مع والدتهِ او مرضعتهِ اذا انقلبت عليهِ وخنقتهُ خنقاً

٢ اسباب الموت الفجائي

اسبابهُ متعدّدة نذكر اهمّها ونسردهُ بترتيب ليسهّل على الذاكرة حفظها:

١ الاسباب الناتجة عن الجهاز التنفسي الدموي

١ً (انسداد المجاري الهوائية). يحصل هذا الانسداد عن لقمة طعام دخلت في الحنجرة او في قصبة الرئة او وقفت في المريء وضغطتْ بسبب كبرها على قصبة الرئة. وقد شاهدنا حوادث عديدة مثل هذه. وعاينّا مؤخرًا ولدًا ميّتًا عمرهُ ثلاث سنوات كان فمهُ وحلقومهُ مملوئين بقطع خبز غير تامّة المضغ — ويدخل الطعام ايضًا في المجاري الهوائية بعد الاستفراغ فيحدث الموت بالاختناق فجأةً

٢ً (احتقان الرئة). نرى في التعديلات ورود هذا السبب اكثر من غيره بيد انهُ لا يظهر الاحتقان المذكور بنوع جليّ ليعلّل هو وحدهُ الموت السريع ما لم يكن في الرئة تدرُّنٌ او في القلب مرضٌ او جاء الاحتقان بعد سبب قوي يرسم التشخيص

٣ً (النزيف الدموي الرئوي). ربّما كانت اسباب الاحتقان هي ذات اسباب النزيف وعلينا ان نذكر خصوصًا النزيف الدموي الذي يحصل في الادوار الاولى من التدرن الذي يكون بعض الاحيان غزيرًا فيسبب الموت فجأةً

٤ً (انفلات جلطة الشريان الرئوي). يظهر هذا الانفلات غالبًا بعد التهاب او تمدّد اوردة الاطراف السفلى او اوردة بيت الرحم. فالجلطة المتكوّنة في تلك الاوردة تنقلب من نفسها بعد حركة عنيفة. وقد شاهدت وانا تلميذ في بيروت فتاةً ميتة من انفلات جلطة رئويّة مصدرها من اوردة الحوض الصغير

٥ً (النزلة الصدريّة الخانقة). هي عبارة عن تكوين كمّية كبيرة من المخاط السائل المزبد يملأ المجاري الهوائية ويُحدث الموت فجأةً في الاطفال خصوصًا وبعض الاحيان في المسنّين

٦ً (انقطاع الحجاب الحاجز). ينقطع الحجاب المذكور بعد حركة عنيفة جدًّا ويحدث الموت الفجائي بسرعة كلّية لانّ بعض اعضاء البطن تدخل بشدّة في القفص الصدري وتسبب الاختناق العاجل

٧ً (القشيان). يحدث الموتُ الفجائي بالقشيان مرارًا على انّي لا اظنّ انّهُ يطرأ على

شخص كامل الصحة بل يحلُّ في الاشخاص المصابين بحالة مَرَضية سابقة وخصوصاً بعلَّة في الجهاز الدموي. واعلم ان امراض القلب والأقنية الدموية الكبيرة كثيرًا ما تسبب موتًا فجائيًا سريعاً جدًّا يحدث عادةً بعد حركة عنيفة او انفعال نفساني عظيم. وانا نذكر بين العلل المذكورة أنورسما الاورط وتصلُّب جدران الاقنية وحوَّول القلب الدهني والتهاب بطانة القلب والتحامها به — وقد شرح طبيب جثَّة امرأة عمرها ٥٠ سنة ماتت فجأة في الليل بعد مشاجرة مع زوجها فظنّ الجيران انها اختنقت لأنهم سمعوها تصرخ « آه اختنقتُ وخنقتني » والحال لم يكن على الجثة آثار قهرية بل وجد بالتشريح التحام كامل بين ورقتَيْ غلاف القلب وقد عُلم ايضًا ان المرأة المذكورة كانت تصاب بنوبات عسر تنفُّس والمشاجرة كانت القاضية في تعجيل الموت الفجائي

٨ً (عدم كفاءة الاورط). هو سبب متواتر للموت الفجائي وكذلك علل التهامات القلبية

٩ً (انقطاع أنورسما الاورط). يسبّب الموت الفجائي لكن تشخيص هذا المرض وقت الحياة من الامور النادرة

٢ً الاسباب الناتجة عن الجهاز العصبي

١ً (التقرّ الدموي الدماغي). هو من اسباب الموت الفجائي فان اصفرار الدماغ وعدم وجود دم بين الأقنية الصغيرة ووجود كتية كبيرة مَصْلية منهُ في البُطَيْنات هي حوادث ذكرها الاطباء مرارًا. ولا يُستغرَب ابدًا حدوث الموت الفجائي من قرّ دموي دماغي بعد انفعال نفساني. واليك حادثة نشرها احد الاطباء الايطاليان: تشاجر اخٌ مع اخيه الأكبر فضربهُ على صدره وقد ضغط الاثنان على صدريهما الى ان فرّقهما بعض الاصحاب. فابتدأ الصغير يسعل ثم وقع على الارض وتقيَّأ ومات. ولم يوجد فيه آثار قهرية خارجية مطلقًا وانما شاهد الطبيب تصلُّبًا قويًّا في اغشية الدماغ وقرًّا دمويًّا دماغيًّا واضحًا جدًّا. وقد نسب الطبيب سبب الموت الى ذاك القرّ الدموي الذي لم يحصل من الضرب لكن من الغضب المستحوذ على المقتول وقد ظهرت علاماتهُ على قول الحاضرين باصفرار فجائي عظيم لاح في وجهه

٢ً (اختلال الدورة الدماغية الدموية). واسبابها استحالة جلطية وتصلُّب في الاوعية الدموية يحدث منها الموت فجأةً دون ان تسبقهُ اعراض تنبئ به

٣ (الاحتقان الدماغي) . يذكر بين الاسباب المتواترة التي عنها ينتج الموت الفجائي مثل داء النقطة والامراض التشنجية والاحتقانات التي تحدث بعض الاحيان في بدء الفالج العمومي ولو لم يسبقهُ علة اخرى

٤ (التزيف الدموي الدماغي) . يسهل على الطبيب معرفة سبب هذا الصنف من الميتات الفجائية بواسطة التشريح وبيان حالته واضح اعني ان الموت فيه دائماً طبيعي . واليك مثلاً مُهِمًّا عن ذلك ذكرهُ احد الاطبَّاء الشرعيين . كانت ابنة عاهرة عمرها ٢٢ سنة تصاب من زمن مديد بوجع رأس ونوبات عُسْر تنفُّس واستفراغ وقد تركت معشوقها مدَّة يومَين ثم عادت اليهِ وزاد المرض فيها . فدخلت المستشفى وهي مع ذلك مصرَّةٌ على كتمان سرّها غير انهُ كان يصيبها نعاس خفيف يمكّنها من الجواب على اسئلتنا ولم يكن فيها فالج نصفي او عمومي . فلمَّا توفيت ظُنّ انها ماتت من رضّة دماغية لكن التشريح اعلن تصلباً في الكليتين وتجسُّماً دموياً في نصف الدماغ الايمن وتزيفاً غزيراً حدث منذ ٦ او ٨ أيام على الاقل قبل الموت

٥ (التزيف الدموي في الاغشية الدماغية) . يحدث في آخر درجة التهاب اغشية الدماغ وهو كثير في السكّيرين فيموتون فجأة من ذلك السبب . ويحدث التزيف الدموي بعد وقعةٍ او ضربةٍ على الرأس وبعد تهيُّج نفساني عظيم . واعلم ان السكّير اذا غضب غضباً شديداً ربَّما عجّل او سهّل حدوث التزيف الدموي الدماغيّ ومات فجأةً بسببهِ

٦ (ارورام الدماغ وخُراجاتهُ) . انَّ الارورام والخراجات المذكورة لا تُبقي في الجسم غالباً الَّا اختلالاً ضعيفاً وتدع ظاهرهُ سليماً وهي تقتل مع ذلك فجأة

٧ (التهاب الاغشية الدماغية) . لا يجب ان تستغرب ذكر التهاب الأغشية الدماغية بين اسباب الموت الفجائي . واليك مثلاً نشرهُ الاستاذ بروارديل الشهير . ان امرأة عمرها ٣٠ سنة اصطحبت رجلاً في نصف الليل وذهبت معهُ لتستأجر بيتاً وصباح الغد ذهب الرجل وبعد ظهر اليوم نفسهِ وجدَ خادم النزل تلك المرأة نائمة على فراشها لا حراك بها فجاء البوليس مع طبيب وقرّر ان المرأة مسمومةٌ بدواء مخدّر وشاهد ايضاً رضّات على احد ذراعيها . فحُملت الى المستشفى حيث ماتت بعد ٣٦ ساعة دون ان تعي ابداً وقد كلّفوا تشريحها فوجدوا التهاباً دماغياً مع كمّية كبيرة من الصديد دون تدرُّن اما الرضّات التي وُجدت على الذراع فكانت عرضية

٨ (الضربات على الرأس). تجلب بعض الاحيان موتاً سريعاً فجائياً غير انهُ يمكن احتمالها دون ازعاج مدة ايام او اسابيع كثيرة. وامثال ذلك غير نادرة فاننا قد شاهدناها مراراً وتحققناها بذاتنا فمن ذلك انَّ ولداً عمرهُ ١٢ سنة وقع فاصابهُ جرح في رأسهِ وضُمِّدَ جرحهُ بقطعة مشمَّع وبقي الولد يلازم المدرسة مدَّة ١٦ يوماً بيد انهُ كان يتشكي من وجع رأس مؤلم. ثم مات باثر ذلك فوجدنا بالتشريح تحت جلد الرأس من جهة الاذن اليسرى كسراً في الجمجمة عمقهُ سنتيمتر ونصف وتشرة الدماغ هناك مصابة قليلاً. اما الدماغ فكان مصاباً بالتهاب صديدي — وقد اطلعنا على حادث آخر وهو انَّ راعياً قوي البنية ضُرب بحديدة بين عينيهِ وبعد الخصام عاد الى شغلهِ وبقي فيهِ طول النهار. فبينما كان صاحب الغد يسوق بهائمهُ الى مكان اذ وقع فجأةً ومات بعد دقائق قليلة. وفي تشريحهِ وجد التهاب دماغي صديدي — وهذه حادثة ثالثة حديثة. ضُرب شاب بسكين فوق اذنهِ اليسرى فنظرهُ طبيب وقرَّر انَّ الجرح يمنعهُ عن الشغل مدَّة عشرة ايام ولكن ما مضى عليهِ خمسة ايام حتى دخل المستشفى وغاب عن رشدهِ. واصابهُ نصف فالج يميني ومات بعد ثلاثة ايام من بزاء التهاب دماغي وربَّما حدث الالتهاب المذكور متأخراً. وكم من مرَّةٍ بقيت اجسام غريبة كالرصاص وغيرهِ في الدماغ مدة اشهر وسنين دون ازعاج المصاب بها ولكنهُ ما لبث ان حصل منها بعد مدَّة موت فجائي سببهُ التهاب الدماغ

٣ الاسباب الناتجة عن امراض الجهاز الهضمي

١ (قرحة المعدة). ربَّما أحدثت استفراغاً دموياً مميتاً او التهاب الصفاق دون ان يسبقها اعراض اختلال حتى فيبقى المرض غامضاً ولا يظهر الا بالموت وقد جمع احد الاطباء عشرين حادثة من هذا النوع

٢ (ثقب الامعاء). يحدث ذلك في بعض الاحيان مع وجود الحمَّى التيفوسيَّة او بعد الشفاء منها. ولذلك يحذّر الاطباء المصابين بالحمَّى المذكورة من اكل الطعام اليابس الضخم مخافة هذه العُتبى الوخيمة اعني الموت فجأة بسبب ثقب الامعاء.

٣ (امراض الكليتين). ان التهاب الكليتين يجلب نادراً موتاً فجائياً. وربَّما بقيت في بعض اشكال هذا الالتهاب الاعراض خفيفة بالظاهر ثم تقوى فجأة وتقتل بسرعة. ويمكن نسبة هذه العوارض الى مرض جديد يختلط بالمرض الاصلي مثل تريف دموي دماغي سببهُ التسمم باليول او بالكحول او بالسكر ولتحقيق اسباب الموت المذكور لا بدَّ

من فحص البول كيماويًا ليرى الطبيب أيوجد فيهِ مادَّةٌ زلاليَّة او سكَّريَّة

٤ (التسمُّم باوكسيد الكربون) . هو سبب متواتر للموت الفجائي خصوصاً في بلادنا أيام الشتاء . لان عادة بعض الاهالي وضع موقد النار في المخدع والنوم في ذاك المكان . والتسمُّم المذكور يحصل عادةً في الليل والمصاب لا يفيق من نومهِ فيُشاهَد عند الصباح ميتاً في فراشهِ . وربَّما استفاق من نومهِ مذعوراً قلقاً ولا يتمكن من طلب الاستغاثة او فتح النافذ فيسقط ميتاً . ويمكن حصول الموت فجأة بالغاز المذكور دون ان يوجد في المخدع موقد للنار مثلاً اذا رجعتْ حاصلات الاحتراق فنفذت الى الحجرة آتية من مخادع مجاورة او تخرج الغازات من ثقبٍ او شقٍّ صغير غير محكم السدّ موجود مثلاً في قسطل الدخان على جدران المخدع . وقد شاهد بعض الاطباء حادثاً غريباً من هذا الشكل وهو انَّهُ وجد ذات يوم رجلاً ميتاً في مخدعهِ وتحقَّق انهُ مسمَّم باوكسيد الكربون لانَّ شبَّاك مخدعهِ كان قريباً جدًّا من طرف جملة قساطل مفتوحة . والغازات التي كانت تخرج منها امتدَّت في مخدعه الصغير داخلاً من شبَّاكهِ المفتوح وحين رجوع الرجل المذكور مساء أقفل شبَّاكهُ قبل نومهِ وبقيت فيهِ الغازات المسمَّة فمات

وكم من مرَّةٍ سمعنا بموت بعض الفقراء الذين ناموا فوق افران الكلس أيام الشتاء قصد التدفئة فتسمَّموا باوكسيد الكربون والتسمُّم بهِ يحصل في مخدع ليس لهُ منافذ مثلاً حين ينكسر قسطل في الطريق فكثيرًا ما يمرّ الغاز في الارض خصوصاً في الشتاء على مسافة طويلة ثم يتمدَّد في المخادع المبنية في الطوابق السفلى ومتى تشرَّبت الارض الغاز المذكور تُفقدهُ رائحتهُ الخصوصية . وهذا يحدث غالباً حين يبقى الجليد على الارض اذ لا يتمكَّن الغاز من الطيران رأساً من الطريق . والحرارة المرتفعة في محلاَّت السكن تسهِّل لهُ الدخول فيها — امَّا العلاَّت التي تحقَّق الموت الفجائي بواسطة اوكسيد الكربون فيعرفها الطبيب من فحص الدم بالكواشف الكيميَّة وباستعمال المجهر الطيفي فلا حاجة لتبيانها هنا

الخاتمة

ذكرتُ اسبابًا كثيرًا للموت الفجائي ولكن ربَّ ظروفٍ يحصل فيها ذاك الموت ولا يرى لهُ الطبيب شرحاً ولا سبباً ولو فحص فحصاً مدقَّقاً كل اعضاء الميت لانَّ جملة سموم نباتيةٍ تقتل دون ان يبقى لفعلها من اثر في الاعضاء فيُضطرّ الطبيب الى ان يقرّ بعجزهِ . وما كمال العلم الَّا لله وهو وحدهُ الحيّ الذي لا يموت

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رتزفال اليسوعي

(تابع لما قبل)

١٥

اذا ما اعتمدنا على ما تقدّم من كلام القديس اثناسيوس وعوّلنا على الادلّة التاريخية المشفوعة به فسلّمنا ان زينب كانت على الاقلّ مستعدّةً للتديُّن بدين اليهود تُرى أيجوز القول بأنّها تهوّدت حقيقةً ومارست فرائض هذه الديانة ما دامت على عرش التدمريين ؟ نجيب كلّا فان الاكتشافات الحديثة تدحض هذا الزعم وتبطلهُ . كيف لا وترى في تدمر حتى في أيّامنا هذه عمودًا من اعمدة الرواق الاكبر مكتوبًا عليهِ باليونانية والتدمرية ان القائدين زبدا وزباي قد نصبا في ذلك المكان تمثالًا لملكتهما الجليلة كما فعلا لزوجها أذينة الثاني (١ ومن المقرّر ان ديانة اليهود تحرّم مثل هذه العادة . فكفى بذلك برهانًا على انّ ملكة تدمر لم تتمذهب بمذهب اليهود كما انّها لم تنتسب الى شيع النصارى المتهوّدين (chrétiens judaïsants) (٢ . وممّا يؤيّد صحة رأينا ان زينب التي ما برحت تفتخر بنسبتها الى اشهر ملكات المشرق لم تكن لو تديّنت بدين اليهود لتُهيل الانتساب الى باني تدمر سليمان الملك . وكان ذكر سليمان لم يبرح بعدُ شائعًا بين التدمريين والعرب والآراميين واليهود القاطنين بمامصتها او المتجوّلين في بادية الشأم

ولسائل ان يسأل فايّ ديانة اذًا اعتنقت سلطانة تدمر وايّ ملّة انتحلت . نقول على وجه الاجمال انّ في الامر غموضًا . وللمؤرّخين في ذلك آراء مختلفة مرجعها الى رأيين فان البعض يعتون بنصرانية زينب والبعض الآخرون وهم الاكثرون يزعمون انّها كانت من جملة الذين يعتقدون وجود الله تعالى مع انكارهم للوحي . وهو مذهب التوحيد (déisme) . امّا نحن فنرجّح رأي الاوّلين لانهُ اقرب الى الصواب ولنا في المسألة بعض

(١ V., n° 29 (٢ . وهذا رأي المؤرخين تاودوريتوس ونيقفور . (Niceph., *Hist.* VI, 47 ; Theodoret: *Hist.* II)

الشواهد التاريخية لسردها لمزيد الايضاح. الّا اننا لا نظنّ ان زنب صارت مسيحية محضة قبل خراب حاضرتها وجلائها عن الاوطان. فنقول:

ان الكتابات التدمرية التي ترأها المركيز دي ڤوكويه كثيرًا ما تُفتتح ببعض الفقر الدينية لاسيما ما ينتمي منها الى القرن الثاني (١ وهي تشبه صورة الصلوات المسيحية شبهًا عجيبًا مثالها: نقدّم هذا المذبح او هذا القبر «لمن استهُ مبارك الى الابد الرؤوف الرحوم». قال العلّامة الموماً اليه: كاني بهذه الكلمات تذكر الصلاة النصرانية المعروفة: «ليكن اسم الربّ مباركًا منذ الآن الى الابد». ولا ننكر ان بعض هذه الابتهالات قد كتبتها يد الوثنيين او اليهود الّا انّ ذلك لا ينفي كون بعضها من صنع المسيحيين ايضًا (٢

ثم اذا اعتبرتَ انّ في جملة من الكتابات التي ادرجها المركيز المذكور في مجموعه صورة اوّل حرف اسم المسيح باليونانية (X) فلا تشكّ انّ المسيحيين كانوا دخلوا تدمر منذ بلجت على العالم شمس النصرانية (٣

هذا ولنا برهان آخر مقنع في انتشار الدين المسيحي في تدمر منذ قرون النصرانية

---

١) راجع V. : n^os 75, 76, 78 سنة ١٢٥ و ١٢٩ و ١٣٥ ومرجع عبادة التدمريين الوثنيين الى الهين اي بَل (او بَعْل) وبرْحِبول ويقال لها «مَلَكْبَل وعَجلبُول» يريدون بها الشمس والقمر فيعبدونها كالهين ذكر وانثى. ومن المعلوم انّ هيكل تدمر الاعظم شُيّد لعبادة الشمس (راجع V. : n^os 93, 128). وهذا موضوع واسع يصدُّنا ضيق المكان عن الاسترسال فيه

٢) ولا يبطل حجّتنا ما قالهُ المستشرق الشهير كلرمون غانو (في المجلّد الاوّل من مجموعه العاديات الشرقية) «بانّ مثل هذه العبارات وثنيّة» واعمّا بان الوثنيين قديمًا لم يذكروا في كتاباتهم اسماء آلهتهم ليكتموا عن الامم الاجانب ما يأملونهُ من معبوداتهم من النعم او غيرةً منهم عليها» لانّ العبارات الوثنيّة في الغالب لا تخلو ممّا يُشعر بعبادة الاصنام بخلاف العبارات التي ذكرناها وهي مترّهة عن ذلك وسامية

٣) قد حاول المسيو شرودر ان يبرهن ان مدلول هذا الحرف غير ما قلنا وهو يعتمد على كتابة تدمرية تاريخها السنة التاسعة للمسيح ورد فيها كمثل هذه العلامة. بيد ان بين الكتابتين بونًا. لان الحجارة التي اكتشفها دي ڤوكويه قد حُفرت عليها صورة هذا الحرف مرتين وفي موضع غير موضع الكتابة التي ذكرها المسيو شرودر في مقالتهِ (Sitzunb. d. Preus. Akad. d. Wiss. 1884, p. 21). وعلاوة على ذلك انّ العلماء يسلّمون بان المسيحيين قد اتخذوا للدلالة على شعائر دينهم بعض اشارات وعلامات كان سبقهم اليها الوثنيّون فاستعملوها في معنى آخر. فلا نظن اذًا انّ حجّة المسيو شرودر كافية لدحض رأي المركيز دي ڤوكويه

الاولى نأخذهُ مما سبق لنا عن تجارة هذه المدينة وسعة معاملاتها مع بقية حواضر الشرق فنقول: انَّ تدمر كانت مجازًا لكل القوافل في ذهابها وايابهـا ونقطة مركزية بين مدن الفرات والاردن وآسية الصغرى. والحال انَّ النصرانية كانت اشرقت على اكثر هذه المدن حتى اقصاها وابعدها منذ مطلع الدين النصرانيّ. فكم بالاحرى يتحتَّم القول انَّها انارت اهل تدمر باشعَّتها الساطعة

فقولنا انَّ تدمر كانت مركزًا لكل قوافل الشرق لا حاجة لبيانهِ اذ يتَّضح صِدقهُ لدى القارئ من مجرَّد النظر الى خارطتنا (الواردة في الصفحة ٤٩٥)

امَّا قولنا انَّ النصرانية كانت نفذت في كثير من مدن المشرق فهو امر واقعيّ لا يستطيع انكارهُ الَّا مُكابر وفحقّ مُدبر. فان تصفَّحنا اوَّل تاريخ النصرانية المدوَّن في كتاب اعمال الرُّسل نجد هذا الدين منتشرًا منذ نشأتهِ في كل انحاء فلسطين (١ وساحل بحر الروم (٢ وفي انطاكية الكبرى حيث دُعي النصارى باسم المسيحيين (٣ ولم يزل قيها ناميًا حتى كان عدد النصارى يناهز في ايَّام تنصُّر قسطنطين الملك على مئة الف (٤. وكذا قل عن دمشق الشام وذلك بعد صعود المسيح بسنين قليلة (٥. واذا اعتبرنا مدينة الرها مع بُعدها عن مَهد النصرانية في اورشليم وجدنا اهلها مذعنين لسُنن المسيح منذ القرن الاوَّل وذلك مما اقرَّ بهِ العلماء فضلًا عمَّا جاء في التقليد. قال العلَّامة دوقال في مقدِّمة كتابهِ في نحو اللغة السريانية: «ان مدينة الرها كان الله قد حباها من العمران والتقدُّم ما جعلهـا مستعدَّة احسن استعداد لقبول الديانة الجديدة اي النصرانية فدانت لها هي وملوكها منذ القرن الاول وهذا من اثبت التقاليد (٦ ». وعلى كلّ حال فانّ النصرانيـة انتشرت في

---

١) راجع كتاب الاعمال ٨: ١، ٥–١٤، ٤٠ و ٩: ٢١

٢) اعمال الرسل ٨: ٤٠ و ١١: ١٩ الخ ٣) اعمال ١١: ٢٢–٢٦

٤) راجع دي فوكويه Syrie Centrale, p. 14 ٥) راجع الفصل التاسع من سفر الاعمال

٦) Gram. Syriaq. 1881, p. VI — هذا واننا نعلم ان الكاتب قصدَ ارتأى خلاف هذا الرأي في تاريخ مدينة الرها (J. A. 1891) الَّا ان حجتهُ غير مقنعة تنقض قول سواد المؤرخين الاقدمين. ولا يتوهَّمنَّ القارئ انَّ مستندنا في زعمنا هذا الى قصَّة الملك الاسير ورسائلهِ الى المسيح التي شاع امرها في المشرق. فانَّ لدينا غير ذلك من الادلة مما قيل عن صدق هذه الرواية او كذبها. وكذلك اننا نضرب صفحًا عن تعيين عدد النصارى في مدينة الرها أكان في القرن الاول للمسيح واخرًا او قليلًا

القرن الثاني في الرها انتشاراً عظيماً كما اثبت ذلك العلامة ساخو (١ في معرض كلامه على اقدم كتابة وُجدت في الرُّها. وقد وافقهُ على قوله الكاتب الشهير ريتان الذي يعلم تزاوتا ما كان يضمرهُ في قلبهِ من الحزازة والضغن للديانة المسيحية فقال: « انَّ ملوك الرُّها قد جاهروا بمعتقَد النصارى ودانوا لهُ رسميًّا قبل ختام القرن الثاني (٢ » . امَّا انتشار النصرانية في آسية الصغرى منذ بدء النصرانية فهو مقرَّر في كتاب الاعمال حيث يصف صاحبهُ اسفار القديس بولس وتبشيرهُ في عامَّة تلك البلاد (٣

فان كان نفوذ النصرانية وعلوّ شأنها ممَّا لا يُنكر في كل الانحاء السابق ذكرها فانَّهُ لمن المستحيل ان لا تكون تدمر نالت من خيرات الدين النصراني نصيباً طيّباً منذ بزوغ انوار هذا الدين وذلك كما قلنا لاجل موقعها كمركز اوَّل لجميع القوافل . فكيف يرضى العقل بانَّ اقاصي بلاد الشرق حظيت بما لم تحظَ بهِ تدمر وانَّها لم تستقِ من ينابيع النصرانية العَذْبة التي أَرْوت تلك البلاد الشاسعة لاسيما بعد خراب اورشليم (سنة ٧٠ ب م) اذ تفرَّقت نصارى فلسطين في كلّ المدن . وعلى ذلك قول المؤرخ غوليوم في محقّ العالمين « انَّ النصرانية نفذت مدينة تدمر باعظم سهولة حتى انَّهُ يصعب تعيين الزمن الذي جرى فيهِ هذا الامر » (٤

وهذا البرهان يزيد قوَّةً اذا اعتبرنا القرن الثاني للمسيح لمَّا زادت النصرانية امتداداً ونفوذاً وكانت رقتئذٍ تدمر اخذت ترتقي في معارج الفلاح فتستلفت اليها الابصار. كيف لا وكان يمكن النصارى ان يعيشوا في تلك المدينة بمعزل عن الاضطهادات التي لحقت بهم في غيرها من البلاد يمضون فروض ديانتهم بكلّ حرّية ودون نزاع . فلا غرو اذاً ان يكونوا تواردوا الى تدمر ونما فيها عددهم

---

١) راجع *Edessenische Inschrift*. Z D M G, 1882, p. 152

٢) راجع الجريدة الاسيويَّة J. A., 1883, p. 251 وريكندورف ZDMG, 1888, p. 409

٣) راجع ايضاً Battifol : *Revue Biblique*, 1895, p. 155 و P. de Smedt : *Revue des Quest. Hist.* 1891, p. 406 . وقد تشهد التواريخ القديمة والجامع والكتابات المكتشفة جديداً مثل كتابة القديس أبركيوس على امتداد النصرانيَّة في القرون الاولى في جميع بلاد آسية الصغرى (راجع ايضاً P. Allard : *Le Christ. et l'Empire romain*, 1897 p. 70 و Revue des deux Mondes, 15 Juil. 1896, p. 386 (٤ V. n° 74 و

اما في القرن الثالث فكان منار الدين النصراني عاليًا في تدمر وانتشرت اضواؤه بنوع عجيب لما صار الامر الى غاليانوس قيصر وامر على رأس الملإ ان يُترك النصارى وشأنهم في اقاليم مملكته. فشرعت من ثم كنائس الشرق تنمي وتنفلح وتظهر في وجه الشمس (١

ولما اخذ أذينة الثاني بعنان المُلك وباشر باستتباب دولة الرومان من ايدي اعدائهم كانت الاضطهادات قد انتهت في بلاد الشأم ولم يبلبل هذه السلامة الّا بعض تصرُّفات سيئة نحو النصارى ذكرناها في موضعها (ص: ٦٨٨ الخ). قال المسيو ألارد مؤرّخ الاضطهادات الشهير (٢ : « انّ الشعوب المذعنة لسلطة زينب لم تزل في بحابح السلام والنجاح بينما كانت دماء المسيحيين مُهراقة في رومة وجوارها ». فوفر عددهم في تدمر على عهد ملكتهم العزيزة

وبناء على كلّ ما تقدّم نقول ان سلطانة تدمر التي قد استقصت مطالعة الاسفار الكريمة وارتاحت الى النظر بالشريعة الموسويّة لم تكن لتنظر الى شريعة اعلى واكمل منها دون ان تعمل في نفسها تعاليمها السامية فتفضّل هذه على تلك. فان عقلها لم يكن اقلّ طمعًا في معرفة الحقّ من قلبها في مُلك العالَم كلّه. الّا انّ الاحوال حالت مؤقتًا دون وصولها الى ذلك العلم الخطير فاغترّت بمذهب رجُل ذي مُداجاة غواها واضلّها عن سواء السبيل. واليك تفصيل ذلك على وجه الاختصار

١٦

كان في بلاط زينب رجلٌ سميساطيّ الاصل (٣ فاق بشهرته وبُعد صيته سائر العلماء الذين قرّبتهم عندها زُلفى اسمهُ بولس. وكان هذا عالمًا نحريرًا ثاقب العقل يباري الملكة معرفةً وعلمًا وعظمةً وطَوْلًا في مالهِ. فلمّا توسّم القوم فيهِ صفاتٍ حميدة وخصالًا فريدة نادوا بهِ بطريركًا على كرسي انطاكية سنة ٢٦٠ ايام كان متولّيًا على الشرق أذينة مع زوجتهِ. وكان الناس قاطبةً بين نصارى وعَبَدة اوثان يعظّمون هذا الاسقف ويحسبونهُ رجلًا

---

١) راجع Allard : *Hist. des Persécut.* III, p., 179

٢) راجع الكتاب المذكور (p,. 205)

٣) راجع اوسايوس تاريخ الكنيسة الكتاب السابع عدد ٢٧,٣٠ — كان البطرك السادس عشر على انطاكية

جريء المُقدَم ذا عزم ردهاء ويتهيَّبون سطوتهُ وبأسهُ . امَّا بولس فما تمَّ ان ظهرت اسرار قلبه المكنونة فاشهر مقاصده وجاهر برغائبه السيئة فارفع كانة جهده ولم يألُ ان يتَّخذ السلطة المقدَّسة التي خُوِّلها كوسيلة لتحقيق آماله وتنفيذ مطامعه فجعل يُنفق هذه الاموال التي كسبها بالنفاق والتعدِّيات في لبس ثيابٍ فاخرة ذات اثمانٍ فاحشة . فكنت تراهُ يتزيَّن بالحلى والطرائف شأن الملوك او بالحري شأن ربَّات الحجال ويحذو حذو العالمين قولًا وفعلًا حتى صار عثرةً للنصارى ولعبدة الاوثان انفسهم . قيل انَّهُ امر الناس في كنيستهِ ان يصفقوا لهُ استحسانًا كما يصفَّق للممثلين في المراسح . وكان خطابهُ ابدًا ثناءً على نفسهِ او تنديدًا بآباء الكنيسة الاقدمين ولم يقف عند هذا الحدّ من السفاهة بل اتى يوم عيد الفصح بنساء قرَّظنَ في بيعة الله التراتيل العالميَّة وانشدنَ الاناشيد يمدحنهُ ويعظمنهُ

وقد بلغت هذه القبائح الى اقصى غايتها لمَّا استفزَّ الشيطان قلب بولس السميساطي وسوَّل لهُ ان يتَّخذ في خدمتهِ فتاةً من اهل الريبة اسكنها في دارهِ ولعلَّهُ استند في ذلك الى بعض الحجج الواهنة التي من شأنها التمويه على الجمهور (١ . وبعد حين ادَّت بهِ فجرتهُ الى ان يستصحب ابنتين في عنفوان الشباب كانتا تصحبانهِ حيثما ذهب (٢

فهذا الذنب الخاطف الذي دخل الخطيرة جعل على مثالهِ الاكليريكيين الذين تحت سلطتهِ فاقتصُّوا معالهُ وتخلَّقوا باخلاقهِ وافسدوا الخراف التي وُكل امرُها اليهم . وما كنَّا لنصدِّق خبر هذه الفظائع لو لم يثبتها مجمع انطاكية في رسالتهِ . وربَّما سمح فادي العلم ان تدخل مثل هذه الشكوك في كنيستهِ الطاهرة ليمحص بذلك اولياءهُ القديسين

هذا ولم يألُ بولس جهدًا في ان ينال رضى زينب . وقد ارتأى بعض المؤرِّخين اعتمادًا على قول ثيودوريتوس ان الغيرة حملت اساقفة انطاكية على اتيان ما أتى ابتغاء ان يكسب الملكة الى الدين المسيحي . لكنَّ هذا الزعم واهنٌ لا صحَّة لهُ لانَّ قلبًا فاسدًا ملطَّخًا بالرذائل والادناس لا يستطيع ان يضطرم بالايمان والغيرة على مجد الله . والأولى القول انَّ هذا المبتدع

---

١) كان بعض الاكليريكيين في قرون الكنيسة الاولى استحلُّوا السكنى مع البنات العذارى (agapètes) يزعمون انَّهم يعيشون معهنَّ عيشةً عاملةً طاهرة ويستندون بذلك الى عادة الرُّسل الاوَّلين الذين كانت تقوم بخدمتهم بعض الاخوات (راجع رسالة القديس بولس الاولى الى اهل قورنتية ٩ : ٥) . فردَّ القديس كبريانوس على مزاعم هؤلاء وبيَّن الاخطار الناجمة منها . وكذلك سفَّه القديس ايرونيموس هذا الرأي في رسالتهِ ١٨ الى استوخيوم ٢) شَنْهاتي ص ١٣٦

لم يبقَ سوى الحظوة عند زينب لكي يظلّ في كرسيهِ ثابتاً ويتمكّن من شهواتهِ الذميمة لا يقمع كبرهُ قامع ولا يردع اهواءهُ رادع

وعليهِ لم تكن سيرتهُ الّا تملّقاً ومخادعةً ومخاتلةً للملكة التي لم تملكْ بعدُ عرفت ديانةَ المسيح حقَّ معرفتها فكان يبيح لها في امر الدين والآداب ما تستبيح ويخفّف عن عاتقها ما تستثقلهُ بل كان يُعجَب بزينب اي إعجاب ويتلو تلوهـا ما استطاع ويُظهر ما تُظهر من العظمة والتجبر والسلطة والدهاء . وفي صورة الحرم الذي رشّتهُ بهِ الآباء يقال «انهُ كان على شاكلتها ما غلبتهُ الّا بعفّتها» وما فتئ يتملّق سيّدتهُ ويخاتلها حتى قلّدتهُ وظيفة الدُّوكنار (ducenarius)(١ التي كانت آثر عندهُ من الاستقية(٢

فهذا المثل الرديُّ الصادر عن اسقف نافذ الكلمة في سوريّة جماء هاج لهُ الشرق وماج . وكان من قبل في سنة ٢٦٤ قد التأم في انطاكية مجمعٌ لتبييف تعليم بولس المذكور(٣ فحُرم لاول مرّة . ولخص هذا التعليم « انَّ المسيح رجلٌ صرفٌ لم يكن لهُ من وجود قبل ظهورهِ في عالمنا . وانهُ من المحال ان يتجسّد الكلمة الذي لا يساري الله في الجوهر . اما الاقانيم الثلثة فليست هي الّا صفات في الحقّ سبحانهُ وتعالى . وقد زيّن اللهُ عزّ وجل المسيحَ بنعمٍ فريدة خصَّهُ بها دون غيرهِ فكان الحبل بهِ فائق الطبيعة صنعهُ الروح القدس في احشاء عذراء . وفي تلك الساعة حلَّ فيهِ كلمة الله . فلا حرَج اذن لو دعونا المسيح الهيًّا او الهًا نظرًا لفضائلهِ السامية التي تقرّبهُ من الله تعالى (٤ » . فلم تلبث

---

١) الدوكنار (ducenarius او ducentarius) كان يادئ بدء ضابطاً يجبي الخراج ويحكم في الدعاوي الطفيفة وقد دعي بهذا الاسم إمّا لانَّ راتبهُ كان ٢٠٠,٠٠٠ سسترس (اي اكثر من ٣٥,٠٠٠ فرنك) او لانهُ كان يجبي ليت المال اثنين عن كل مائتين ولكن في الجيل الرابع والخامس ترأس الدوكنار على مجلس شورى القوّاد العسكريين او على ادارة الشؤون اعني مجلس الولاة ويُبين انهُ نال ذلك منذ اواخر الجيل الثالث (راجع Notit. Dignit. p. 82). وبناء عليهِ فكان لبولس في ادارة شؤون سورية منصب من المناصب الاولى بعد رتبة القنصل

٢) تاريخ اوسابيوس ٧ : ٣٠

٣) وممن حضر هذا المجمع فريليانوس القيصري والقديس غريغوريوس العجائبي واخوهُ اثنودوروس وهيلانوس الطرسوسي وهيماناوس الاورشليمي والشمّاس اوسابيوس الذي سيم بعد مدةٍ مطرانًا على اللاذقية

٤) راجع كتاب المرطقات للقديس ابيفانيوس ٧٥ : ١ — ٣ ورسالة المجمع في تاريخ اوسابيوس ٧ : ٣٠ وكتاب المرطقات للقديس اوغسطينوس ٥٧ الخ

هذه الاراجيف ان انتشرت وسرى شرّها في العقول فاجتمع حينئذٍ الاساقفة من بلاد بُنطس وقبادوقية وفلسطين فوجدوا بعد الفحص انَّ تعاليم المبتدع لا تختلف عن تعاليم ارتاماس او ارتامون (١ الذي كان قد حُكم عليهِ قبلاً. فحرموها باتفاق الكلمة

فلمَّا كُشف القناع عن سيّئ آراء بولس سُقِط في يدهِ وتظاهر بالتواضع والقبول للرأي السديد والايمان الصحيح ووَعدَ ان يغيّر خطتهُ ويؤمن ايمانًا مستقيمًا ولكن عقيب خمس سنوات رجع الى ضلالهِ وشرّ اعمالهِ او بالاحرى ما زال طول المدَّة ينهج منهاجهُ الاوَّل تاركًا مواعيدهُ دون ان يصلح سيرتهُ او يصحح تعليمهُ. فهرع الى انطاكية ثانيةً اسقفًا سنة ٢٦٩ اقامهُ هـذا « اللصّ الذي اتانا خراف المسيح إتلافًا » فانتصب في وسط الجماعة الكاهن ملخيون القديس وفنَّد حجج المبتدع الواهنة واطفأهُ امام الجمع بتَعداد ما عُزي اليهِ من الاضاليل والاثام فنُزل بولس عن كرسيهِ واقيم مقامهُ دُمنوس وكان ابن ديمتريانوس اسقف انطاكية سابقًا. ورغبةً في اشهار هذا الحكم وانفاذهِ بعث الجمع رسالة الى ديونيسيوس اسقف رومة وكيسوس اسقف اسكندريَّة والى عامَّة الاساقفة والكهنة والشمامسة والكنيسة الكاثوليكية المنبثَّة في كل الاقطار (٢

امَّا زينب فما انكرت على الاساقفة صنعهم ولا سلبتهم حرّيتهم بل تركتهم وشأنهم يحكمون على حميها وجايسها (٣ واكتفت بان لا تنفذ حكمهم بالقوَّة الجبريَّة. غير ان بولس ابى ان يجحد كفرهُ ويتخلَّى عن الاوقاف الكنسية اتكالاً منهُ على حزبهِ العظيم في انطاكية وحسن التفات زينب اليهِ فيما سلف. فلم يبرح هو وانصارهُ في دار الاسقفية متمتعًا بالاوقاف والاموال الى يوم تغلَّب اورليانوس على زينب وقهرها في انطاكية سنة ٢٧٢. فمثل اوانئذٍ دُمنوس امام القيصر وطلب اليهِ كمالكٍ شرعيّ ان تُردَّ لهُ المساكن التي كان احتبسها جورًا وظلمًا ذلك الهرطوقيّ المحروم فاجابهُ اورليانوس الى سؤلهِ قائلاً: « انَّ الوقف

---

١) راجع اوسابيوس الفصل المذكور. كان ارتامون هذا علَّم في رومة تعاليم كاذبة ينفي فيها الوهيَّة السيد المسيح . وكان إوانئذٍ حبر الاحبار القديس زفرينوس

٢) راجع اوسابيوس ٧ : ٢٨ — ٣٠ والقديس ابرونيموس الرسالة ٨٤ وفي الرجال العظام ٧١ والقديس اثناسيوس في الجامع — (مَنْسي الجامع المقدّسة الجمع الجديد I) على تاريخ سنة ٢٦٩ Tillemont : *Mémoires*. IV. art. 4 و Bolland : Oct. t. XII, p. 507-509

٣) اوسابيوس الموضع المذكور

الواقع عليه الحلاف انما هو مُلك المشتركين مع اساقفة ايطالية واسقف رومة (١

على هذا النوال سقط بولس رغماً عن الآمال التي وطّدها على زينب غير انهُ كان قد زرع في المشرق جراثيم الشيعة الآريوسية والنسطورية اللّتين مال اليهما وعلّمهما وقد ترك اشياعاً متعصّبين لتعاليمه فدُعوا بولسيّين سُمَيْساطيين (٢

بعد سرد هذه الاخبار نرى انهُ لامرٌ جدير بالانذهال كيف تركت زينب جليسها بولس واحبَّ الناس اليها يُحرَم ويُحكم عليه بالعزل والعقاب دون ان تحاول اضطهاد المسيحيين او معارضتهم في دينهم. وقد اثنى القديس اثناسيوس ثناء جميلاً عليها لسبب غير هذا وهو عدم تعصّبها لديانتها الاسرائيلية (على زعمه) قال: «ان زينب وان يهودية لم تهب ابناء ملّتها الكنائس لتكون لهم مجامع او محافل» (٣

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولنرجع الى ما كنّا فيه. واستمرّت اقطاعات السلف على ما ذكرناهُ ثم انقسموا ثلاثة ابدال وقد رأيتُ بخطّ ناصر الدين المذكور قائمةً (٤ مضمونها الذي تقرّر بين المماليك اولاد امير الغرب من الابدال بالثغر المحروس: (البدل الاوّل) الفقير الى الله تعالى الحسين بن خضر واخوهُ عزّ الدين حسن وشمس الدين عبدالله ابن عمهِ واصحابهما ما خلا خمسة انفار

١) اوسايوس ٧ : ١٩,٣٠ . قال شبابي «ان هذا الرجل الوثني اوصلهُ تميز عقلهِ الى حلّ مسائل شتّى في الامانة المسيحية (راجع المذكور وجه ١٤٠) — فانظر كيف اوريليانوس يذكر اسقف رومة على حدةٍ واما اساقفة ايطالية فيذكرهم سويةً دون تخصيص احدٍ»

٢) راجع اوسايوس الحل المذكور . ومخايل كيكاس اخبار القسم الثالث — وقد اجمع المؤرخون على ان بولس هو اول من حرّف القوانين الرسولية — طالع مقالات دي جيستري الفصل الثاني (بين)

٣) راجع رسالة القديس اثناسيوس

٤) راجع هذه القائمة في اخبار الاعيان (ص ٢٣٦)

تضاف الى الامير ناصر الدين ابن سعدان وهم صارم الدين شمول وابن عمّهِ نجم الدين كوكب سنان وشرف الدين غازي ابو الرجال وشرف الدين ابو العلاء بن شتير وبدر الدين حسن بن سامي. (والبدل الثاني) الامير سيف الدين مفرج والامير عزّ الدين حسين ابن شرف الدين والامير علم الدين سليمان واصحابهما. (والبدل الثالث) الامير ناصر الدين ابن سعدان وولداهُ الامير سيف الدين ابرهيم بن نجم الدين واصحابهُ والامير عماد الدين موسى بن مسعود واصحابهُ والخمسة المضافون اليهم من جماعة المماليك

ثمّ من مضمون القائمة المذكورة اسماء جماعة المماليك «العشرة الأولى»: شرف الدين ابن قاسم برق. حصن الدين زعازع بن احمد. نجم الدين أيوب. صارم الدين شمول بن نجا من بني ابي الجيش. شهاب الدين داود بن عبد الله. شمس الدين عبد الحميد بن جار. بدر الدين بدر بن عبد الكريم. ناصر الدين غسّان بن جلال. جمال الدين رشيد بن معبد. شرف الدين بن يعقوب بن عبد الحقّ العديسيّ. امّا «المستجدّون» فهم: حسام الدين ابو الهيجاء بن عيسى العديسيّ. شرف الدين مشرف بن جميل. شهاب الدين احمد بن شمس. شمس الدين محمّد بن منا. شجاع الدين ارسلان بن مسعود. شرف الدين عيسى بن يوسف. بدر الدين حسن بن سامي. شرف الدين عيسى بن غازي المزيودي. نجم الدين كوكب (؟) بن سنان. ناصح الدين عبد المنعم ابو النجم. عزّ الدين حسن بن رفاعة. عزّ الدين بن فضائل بن ابي العلاء المبشري

قولهُ «العشرة الاولى» يريد عدّتهُ الاولى قبل الزُّوك وهم مستمرُّون في خدمته. وقولهُ «المستجدّون» اي الذين استجدّهم عندهُ في الخدمة بعد الزوك فصار المستمرُّون من الاوّلين عُتقًا والذين بعدهم مستجدّين. امّا شرف الدين يعقوب بن عبد الحقّ المذكور فهو الذي كتب لناصر الدين مخدومهِ مرآة الزمان والذَّيل عليها. وكتب لهُ ايضًا غيرها عدّة كتب فكان ما كتبهُ لهُ ثمانيًا وثلاثين مجلّدًا كبيرًا ضخم الحجم وقد رأيتها كلّها

(قلتُ) واذا نظر الناظر الى هذه الأبدال الثلاثة يجد قسمتها على احسن ترتيب واكمل سياسة لانّ (القسمة الاولى) للامراء في اعتيه فزادوا عن الثلاثة خمسة اجناد. وكان يجب ان يُفرَد لها احد الاميرين امّا عزّ الدين الحسن بن خضر وامّا شمس الدين عبد الله بن حجي فلم يخرجهما ناصر الدين عنهُ وابقاهما معهُ لكون عزّ الدين اخاهُ وصداقه

ابن عمهِ . وجعل عوضاً عن الذي ينفرد منها خمسة من جندهِ مناسبين لبني ابي الجيش . واما (القسمة الثانية) فللامراء بعرامون تكملتهم عمّ الدين الرمطوني بالطابقة لهم . واما (القسمة الثالثة) فلناصر الدين بن سعدان وولدهِ ومعهم سيف الدين ابرهيم بن محمد العيناني وكملهم ناصر الدين الحسين بخمسة من جندهِ وهي المذكورة . ولينظر الناظر (٥ 45) الى هذه القسمة الثالثة كيف جُعلت . فاما ناصر الدين بن سعدان فكان من طبعهِ البغض والحسد لناصر الدين الحسين واقاربهِ الامراء بعرامون . واما سيف الدين ابرهيم فكان ولدهُ نجم الدين محمد ابن جمال الدين حجي وقد عقّ اباهُ وعاداهُ اقاربهُ وصار مبغضاً لديهم . واما اجناد ناصر الدين الحسين الخمسة فهذه اسماؤهم : شمول بن لجا وهو ابن عم ناصر الدين ابن سعدان . ونجا هو تقيّ الدين نجا المقدَّم ذكرهُ الذي فعل مع السلف تلك الفعائل . ومنهم موسى بن مسعود فكان من بني ابي الجيش ايضاً

وحكي انهُ قيل لناصر الدين الحسين ان ناصر الدين ابن سعدان مرض مرضاً لا ينجو منهُ فقال : في منعاهُ سألبس الاحمر . يُشير بذلك الى ما ذكرناهُ عن ابن سعدان لمّا دسّ السمّ ليدو الدين يوسف ابن زين الدين وكان لمّا بلغهُ خبر موتهِ لبس الاحمر يظهر الابتهاج بهِ . وكان مع ذلك ابن سعدان المذكور اقلّ بغضاً لامراء العرب من بقيّة اقاربهِ . وكان لابن سعدان هذا ولدٌ اسمهُ شهاب الدين داورد فشى على قاعدة تقيّ الدين نجا عمّ ابيهِ ناصر الدين ولم يخرج لهُ قصد (١

وقد وقفتُ على اشهادٍ من مضمونهِ انّ داورد المذكور رجع عن قولهِ وتاب وسلك الطرائق الحميدة والمناهج السديدة وانهُ اقرّ انّ كلّ ما تكلّم بهِ عند النوّاب والامراء في حقّ ناصر الدين الحسين زورٌ وبهتان في طريق الحسد والبغض لا صحّة لهُ

ووقفتُ ايضاً على كتاب من تنكز نائب الشام جواباً لناصر الدين الحسين يقوّي بهِ يد ناصر الدين (46) على داورد المذكور وانهُ لم يسمع لكلامهِ بل تحقّق كذبهُ

---

١) قد جاء في حاشية المؤلف ما نصهُ : « وقد وجدت كتاباً لناصر الدين الحسين المذكور جاء في مضمونهِ انّ شهاب الدين داورد ابن ناصر الدين كان رديء السيرة يمشي على طريقةٍ مذمومة وانهُ واخاهُ سعدان يقصدان ضرر ناصر الدين الحسين واخوتهِ ويقدحان في اعراضهم . وتاريخ هذه الكتابة العُشر الآخر من شهر صفر سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠ م) »

وعرف شكر الناس لناصر الدين . وكتاب تنكز المذكور والاشهاد السابق كلاهما بتاريخ سنة احدى وعشرين وسبعمائة (١٣٢١م)

وبيت بني ابي الجيش كانوا مشهورين بالبغض والحسد لهذا البيت ولاقاربهم الامراء يعرامون ويتسلطون عليهم بالكذب والزور من غير إساءة سبقت منهم اليهم (١ . وقد حُكي انّ بعض الامراء يعرامون مات مسمومًا بيد احد ابناء ابي الجيش (٢ وقد هلك في آخر الامر بنو ابي الجيش وخربت مساكنهم في ايام هذا البيت . وانّ العاقبة للمتّقين

ذكر بعض حوادث جرت في ايام ناصر الدين

كان عمر ناصر الدين لمّا قُتِل القطب نحو عشر سنين . ولمّا تُحت بيروت على يد الملك الاشرف كان عمرهُ قرب اثنتين وعشرين سنة . وفي ايامهِ كان نزول الفرنج على الدامور ليلة الاربعاء من جُمادى الأولى سنة اثنتين وسبعمائة . وكان في الدامور شمس الدين عبدالله واخوهُ فخر الدين عبد الحميد واسروا اخاهُ شمس الدين عبد الله . وقُتل في تلك الليلة مجاهد ابن ابي الحسن بن يوسف وابن عمهِ معتب بن ابي المعالي ونفر من اهل ادميث . وبقي شمس الدين عبد الله معهم في الشوانى خمسة ايام (٤٥) الى ان باعوهُ بالتربة من قرية خلدا بثلثة آلاف دينار صوريّة لانهم عرفوهُ وندموا على قتل اخيهِ . ودفع ناصر الدين جانبًا كبيرًا من مالهِ ليفديهُ (ستأتي البقية)

---

١) جاء في ذيل الكتاب ما حرفهُ : « سمعتُ من غير واحد انّ بعض الامراء الذين سكنوا بعرامون الحارة المجاورة للعين كان يصبح بعض الاحيان فيجد في الطيقان نشّابًا مغروبًا . وكذا كان يجري في بيت جمال الدين حجّي المعروف الآن ببيت شجاع الدين فكان يُرى النشّاب مغروسًا في الطاق قد رُمي بهِ من جهة الوادي وكان ذلك من بني ابي الجيش . وبغضهم لهذا البيت مشهور »

٢) حاشية للمؤلف : « المعروف انّ الذي توفي بالسمّ هو بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن عليّ بن يحتر المذكور في الطبقة الاولى . وقيل انّ الذي دسّ لهُ السمّ هو ناصر الدين ابو الفتح بن سعدان بن ابي الجيش . وقد تقدّم ذكر ذلك في حاشيتهِ عند ترجمة بدر الدين المذكور في الطبقة الاولى »

السفر العجيب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

قال هذا ودخلا في الجنينة المذكورة. وكان فاضل كلما شاهد قفصاً يقف متحيّرًا متدلهًا ويصيبهُ من الذهول ما لا يفي به الوصف. وبعد أن زارا جنينة الحيوانات ذهبا الى البرادو (Prado) ومنهُ الى جنينة بورلي الواقعة على شاطئ البحر. وكانت ساعة الظهر قد دقت قبل ان يعود فاضل الى مقرّه فالتفت رفيقه وقال: «ما اظنّ انك ذقتَ في عمرك اكلة بولياباس وحيث قد برّح بي الجوع فلا استطيع ان اعود بك الى رصيف جوليات وانا طاوي الحشا على الطوى ولا شك انّ بك مثل ما بي. فتعالَ ندخل هذا المطعم لنتغدّى فيهِ رايَ حرَج على المرء ان يتغدّى مرّةً مع صديقهِ ولو ادّى ذلك الى بعض الإسراف»

وكان فاضل قد جاع فانقاد الى صاحبه كما انقاد لهُ من قبل ولم يكن عالمًا حقيقة الامر ولو انهُ درى انّ تناوُل الطعام في الفنادق يفضي الى بذل الدرهم لتوقّف عن مجاراة ذاك الصديق المجهول ولكنهُ كان يتصوّر انهُ يدعوهُ للغداء على حسابهِ. وعلى هذا الفكر دخل بهيّته الى قاعات فسيحة حسنة الرياش مرتفعة النوافذ مطلّة على البحر قد تزيّنت جدرانها بالمرائي العديدة وموائدها بالصحف والاواني الفضيّة وسقوفها بالثريّات المتلألئة. فتذكر فاضل حينئذٍ قهاوي الاسكندرية وما جرى لهُ فيها ممّا تقدّم ذكرهُ فاقترب الى صاحبه كأنهُ يريد الاختفاء وراءهُ من انظار القوم. ثم انّ الاثنين جلسا الى مائدة صغيرة بجانب احد تلك الشبابيك

وفي الحال جاء احد خدّام المطعم ليعلم ايّ لون من الوان الطعام يشتهيان. فقال رفيق فاضل: «تأتينا اوّلًا بشراب يهيّج شهوة الاكل. وبعد هذا تحضر لنا صحفةً من بولياباس وتضيف اليها بعض القناني من نبيذ بوردو لاني عزمت أن أحسن معاملة ضيفي اليوم. فغاب الخادم هنيهة واحضر لهما قدحين من شراب «بيكون» فتناول الرجل المجهول قدحًا وقال لفاضل: انك تجهل هذا الشراب الذي يُستخرج من قشور البرتقال فهو جيد جدًا والاقبال عليهِ عظيم عندنا وفي السنة الماضية تمكّن احد المشتغلين بصنعهِ من تزويج ابنة لهُ واعطاها مليون فرنك نقدًا

— مليون فرنك !

— ليس هذا شيئاً بالنسبة الى غناهُ العظيم فقد بنى في السنة الفائتة معملاً لهذا الشراب كأنهُ خمسة ملايين فرنك وهو في الحقيقة اشبه بقصر. وسنمرّ عليه في هذا المساء فتشاهد فخامتهُ. وفي كل يوم يُخرج من هذا الشراب كمية وافرة ويبيعها باحسن الاثمان ويربح الارباح الغزيرة — ولكن ما لنا ولكلام الآن هاهُ نأكل

وكان الخادم قد اتى بصحفة بواياباس فقدَّم الرجل لفاضل كفايتهُ وزيادةً ثم قال لهُ: كيف تجد هذه الاكلة ألم أقل لك انها لذيذة للغاية

امَّا فاضل فلم يهتدِ الى ما يجيب بهِ فان غداءهُ كان يختلف جدًّا عمَّا اعتاد ان يتناولهُ في بيتهِ من المآكل

ثم انَّ الرجل قدَّم لفاضل قنينة من خمر بوردو قائلاً: اشرب من هذه الخمر الجيِّدة فانها تقوّي المعدة وتزيد شهوة الاكل

قال فاضل: لم تسبق لي عادة بشرب الخمر

— نعم لا اجهل ذلك فمن مجرَّد النظر الى وجهك يعرف كلّ احد انَّك لا تشرب غير الماء صرفاً. ولكني أريد اسقيك الخمر لترى طيبتها وحسن فعلها. فاشرب اذاً هذه الكأس

فرفع فاضل الكأس وشربها. فقال الرجل:

أمَا انها من أحسن الخمر واجودها ثم فتح قنينةً أخرى وملأ منها كأس فاضل التي كانت قد فرغت وناولهُ فشرب. وما مضى يسير من الوقت حتى اضطرب دماغ فاضل واصبح كمن لا يعي ولا يُبصر. ثم جيءَ بالقهوة في فناجين كبيرة فزادت تأثير الخمرة في رأسهِ. واخيرًا نهض الاثنان ورجلا فاضل تكادان لا تحملانهِ فأمسك رفيقهُ بيدهِ وذهب بهِ الى الجنينة التابعة للمطعم وجلس معهُ على مقعد هناك في محلّ منفرد بعيد عن الابصار وناولهُ سيكارًا فاشعلهُ واخذ كلاهما يدخنان مسرورَين

وما كاد فاضل يتكئ على المقعد حتى اطبقت عيناهُ فمثل لهُ الخيالُ والدتهُ وعلق يفتكر في مرارة اغترابهِ عنها ويقدّر انها تشخصهُ دائماً قبالة عينيها كما انهُ هو يخالها دائماً لدنهُ. ولو أنَّها رافقتهُ لكان يدخلها الى تلك الجنينة الجميلة المنظر الكثيرة الاشجار والازهار ويُذيقها اطعمة غريبة شهيَّة لم تذقها عمرها كلهُ ويسقيها كاساً من لطيب النبيذ. ثم

رأى نفسهُ كأنهُ يتحدَّث معها تحت تلك الظلال الوارفة بفرح وسرور دون ان يكدّر احد صفاءها. ولا يخفى ان التفكر بالوطن والاهل في أيام الغربة لهو من اشهى الاشياء للغريب. ومن ثمَّ حسب فاضل تلك الدقيقة من احسن أيام حياتهِ

غير انهُ بينما كانت افكارهُ مشتغلةً بهذه الامور انتبه فرأى الظلال قد زادت تكاثفاً والشمس قد مالت عن الأفق ونظر الى ما حولهُ فلم يرَ احداً فافتكر ان مُضيفهُ ربما يكون قد غاب عنهُ لمدّة يسيرة ثم يرجع بعدها. فانتظر ولكن على غير جدوى فاستخبر عنهُ فلم يقفهُ احدٌ على خبرهِ. فهمَّ بالانصراف فطالبوهُ بثمن الغداء. فاحتجَّ فلم يتنع احدٌ باحتجاجهِ. فمدَّ يدهُ الى منطقتهِ ليُخرج منها الثَّمن المطلوب الّا انهُ لم يجدها. . .

وفي اليوم التالي نشرت جرائد مرسيلية في جملة حوادثها المحليّة خبر هذا السلب قائلةً: « ان احد السوريين ممَّن انتهوا مؤخراً الى مرسيلية قد سُلب في جنينة روبيون. وذلك ان رجلاً حسن الملبس بعد ان غدَّاهُ غداء فاخراً واسكرهُ سلبهُ منطقتهُ وكان فيها مبلغ من الدراهم اتى بهِ ذاك المسكين ليستعين بهِ على متمَّة سفرهِ الى اميركة. اما رجال الشرطة فجادُّون في البحث ولكنَّهم حتى الآن لم يعرفوا السالب »

وطالع الناس هذا الخبر في جملة ما طالعوهُ من الحوادث ولكن دون ان يلتفت اليهِ او يرثي لحالهِ احد. ولا عجب لان حادثاً كهذا من الامور التي تقع كلّ يوم في مدينة مرسيلية وغيرها من المدن الحافلة بالسكّان

ولنعُد الآن الى فاضل ونشاهد اي حزن حلَّ بهِ على اثر هذا المصاب فنراهُ راجعاً في الليل الى حيث كان رفقاؤهُ يقودهُ اثنان من رجال الشرطة كما يُقاد المجرم. وكان بصرهُ منخفضاً وقلبهُ يكاد يتمزَّق غمًّا. فلمَّا وصل بهِ الشرطيَّان ناديا على رفقائهِ قائلين: « انهُ قد سُلب ». ثم تركاهُ وذهبا

وأخذ فاضل يتأمَّل في شقائهِ ويقول: يا لتعساتك يا فاضل ويا لنحس حظّك كيف ذهبت منك تلك الدراهم التي حصَّلتها بالكدّ والتعب وعرق الجبين واخفيتها عن كلّ الابصار ولم تكن تخرجها من مخبإها الّا حتى تُمدَّها او تُضيف اليها غيرها. فكم كنت تقتصد حتى لا تمسَّها وكم كنت تحرم نفسك من اللذائذ حتى تبقيها كما هي فجاءت يدٌ اثيمة فجرَّدتك منها. آه ثم آه لقد طويتَ الاسفار ومخاطر البحار حتى تصير غنياً وتكثر ما لديك من الدراهم فخانك الدهر ولقتلك كل شيء. قبل ان تصل الى حيث

انتَ قاصد. فما كان ضرَّك لو بقيتَ في بيتك آمنًا مستريحًا دون ان تتغرَّب وتتحمَّل هذه البلوى. كيف رقصتَ مع ما تدَّعيه من الحذاقة والفطنة في فخاخ رجل مجهول يزعم كذبًا انهُ وكيل لاهمّ الحلَّات التجاريَّة في ليون. ترى ماذا يقول يوسف وابرهيم وعبد الله وموسى خاصَّةً اذا ما بلغهم خبرك ألا يستهزئون بغبـاوتك وتفشُّلك وتصير احدوثة في افواههم وافواه اهل كلّ القرية. وماذا يؤلمك ايضًا أن لا يتَّصـل الخبرُ بجرائد بيروت فتدرجهُ في اعمدتها وتنشرهُ في كلّ انحاء سوريَّة. ثمَّ ماذا عسى ان تقول والدتك التي كانت ترجو منك ان تبعث اليها بالدراهم تباعًا اعتمادًا على مهارتك. ماذا عساها ان تقول اذا عرفت انك قد خسرت كلّ شيء. واصبحتَ لا تملك شروى نقير

وبعد هذه الافكار كلّها خطر لهُ ان يركب البحر عائدًا الى سوريَّة. ولكنهُ كان قد اتَّخذ من الشركة التي تنقل المهاجرين الى اميركة تذكرة سفر ودفع قيمتها فعدولهُ عن السفر معها موجبٌ لخسارة ما دفعهُ فضـلًا عن انهُ يضطرّ ايضًا الى دفع اجرة رجوعه فتصير الخسارة مزدوجة. وبعد هذا كله ماذا عساهُ ان يلاقي في سوريَّة سوى الاستهزاء والتهكُّم عليه. وكان موعد السفر في ثاني يوم صباحًا قبل ان يطلع الفجر نهض لفيف المهاجرين فتوجَّهوا الى محطَّة السكة الحديديَّة فتبعهم فاضل معوِّلًا على اللحاق بهم ومعلِّلًا نفسهُ انهُ يخدمهم في اثناء السفر فيجود عليـهِ هذا برغيف وآخر برأس من البطاطا المسلوقة وغيرهُ بقبضة من الزبيب وهكذا يتعيَّش حتى يصل الى اميركة (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

C. A. Nallino: La Transcription des noms géographiques Arabes, Persans et Turcs: *Le Caire.*

هي مقالة افرنسية ذات ٢٩ صفحة بيَّن فيها صاحبها العـلَّامة نلّينو ما ينالهُ العلماء المستشرقون من الفوائد الجمَّة باتِّباع قاعدة معلومة في نقلهم الاعلام العربيَّة والفارسيَّـة والتركيَّـة الى اللُّغات الاوربية بحيث يستدلُّ القارئ لاول وهلةٍ على اللفظة الاصليَّة دون اشتباه. وقد اجاد الكاتب المذكور ببيان ضرورة الاتِّفـاق بين العلماء على هذه الكتابة الواحدة. ولكن نراهُ قد اخلَّ بذكرهِ الطريقة المؤدِّية الى هذا الاتفاق. فانهُ يرتأي انَّ الحروف التي لا شبهَ لها في اللغات الاوربية يحسن بهـا ان تُكتَب بحرف منقَّط كالحاء

مثلاً (h) والصاد (ṣ) والضاد (ḍ) والطاء (ṭ) والظاء (ẓ). اما بقية الحروف كالثاء والحاء والذال والشين التي لها شبهٌ في بعض اصوات اللغات الاوربية فانهُ يفضّل اختيار هذه الاصوات ولو كانت حروفها مزدوجة فتكتب الذال (dh) والثاء (the) والخاء (kh) والشين (sh). نقول انَّ الطريقة التي لذلك اختيار حرف واحد اجنبيّ منقّط كما وضعتهُ مطابع ليدن وتجري عليهِ مطبعتنا. والسبب ان اختيار حرفين للدلالة على صوت عربيّ ربما اوقع القارئ في الضلال. مثال ذلك لفظة «Adham» فيمكن قراءتها «أدْهَم وأذَم» ولفظة «Atham» يجوز ان تقرأ «أثهم وأثم» وكذلك «Asham» لا يُعرَف لفظها الصحيح أهو «أسْهَم» او «أشَم». وقس على ذلك كلّ الالفاظ الاجنبية التي يدخلها حرفان للدلالة على حرف شرقيّ مفرد. ولا مناص من هذه الشُبهات اللهمّ الّا بتعيين حروف اجنبية مفردة يكون تنقيطها هو الدليل على اصلها م. ل.

دائرة المعارف

الجزء العاشر. للادباء سليمان ونجيب ونسيب البستاني طبع في القاهرة سنة ١٨٩٨

لا نظنُّ ان احدًا من قرّاء المشرق يجهل اسم هذا الكتاب وما يشتمل عليهِ من المواد المختلفة والمباحث الشتّى في كلّ اصناف العلوم البشريَّة. ودوائر المعارف عند الاوربيين كثيرةٌ الّا انَّ لغتنا العربية كانت في حاجة الى مثلهِ لينال الشرقيُّون حظَّهم من الاكتشافات الحديثة وترقّي اصناف العلوم الى ان استنزلت الحميَّة الوطنيَّة المرحوم المعلّم بطرس البستاني لمباشرة هذا العمل الخطير. وكان انجز منهُ تسعة اجزاء حين اصابتهُ المنيَّة فحالت دون اتمام هذا الاثر المشكور

وهاك قد مرَّت على بروز الجزء التاسع نيّف واحدى عشرة سنة وادباء الشرق ينتظرون بفروغ الصبر تتمَّة هذا المشروع الجليل حتى كادوا يقطعون الأمل من اتمامهِ اذ صدر منذ قليل هذا الجزء العاشر في مصر المحروسة. فما بلغ ديارنا حتى أسرعنا الى تصفُّح موادّهِ والتقاط فرائدهِ فاذا هو كاخوتهِ السابقين قد قُدَّ من أديمهم وشُقَّ من نَبْعتهم بل رأينا انهُ يفضل الاجزاء السابقة من وجوهٍ منها انَّ اصحابهُ تمكّنوا من جمع موادّ اغزر واوسع وانتقوا ما بلغتهُ عالم العلماء في خلال هذه المدَّة من الحقائق العلمية والاكتشافات التاريخية والاختراعات العصريَّة وما طرأ من الانقلابات الجغرافية». ومنها ايضاً انَّهم تحاشوا بمزيد

الحرص عن كلّ ما يمسّ التعاليم الدينية الصحيحة والمعتقدات الصوابية . هذا الى غير ذلك من الصفات التي من شأنها ان ترغّب القرّاء في اقتناء هذا الكتاب النفيس

على اننا احببنا ان نعرض للافاضل القائمين بتتمّة هذا التأليف الجليل بعض ملاحظات سنحت لنا في اثناء مطالعتنا لهذا الجزء لا تنديداً بالكتاب بل لفائدة حسن الانتقاد وذلك على غاية ما يمكن من الايجاز لضيق المكان

واوّل ما نأخذ على اصحاب هذا الجزء عدم التناسب في سعة بعض الموادّ فانهم ربّما افردوا لما ليس تحته كبير امر مجالاً رحباً « كشارية وسيلي » مثلاً بخلاف موادّ أخرى التي لم تَرَ لها ذكراً البتّة « كالصّبر » (للفضيلة) و « شكّة » من اقدم مدن ساحل فينيقية (راجع بسائل تلّ العمارنة) . او ذُكرت باسطر قليلة لا تكاد تفي بالموضوع « كسمعان العامودي » . ويلحق هذا الباب المبالغة في شرح بعض الموادّ ولو كانت مفيدة كمادّة « سودان » مثلاً التي توسّع فيها اصحاب الدائرة توسّعاً مفرطاً (٥٢ عموداً) . وادرجوا فيها كثيراً من الحوادث التي هي احرى بتأريخ مطوّل منها بدائرة معارف

ثانياً وقد رووا قصصاً كثيرة وحكايات فرّية مختلقة يظهر فيها التانيق والاصطناع دون ان يبدوا في ذلك رأيهم او يحذّروا عن كذبها قرّاءهم كما ترى في مادّة « سليمان » و « شيرين » و « شيطان » و « سماء » الخ

ثالثاً ولم يحسنوا في ابواب كثيرة التمييز بين غثّ الامور وسمينها فنقلوا عدّة اشياء منافية للحقّ دون تروّ كما جاء في مادّة « سوسياليسم » وقد عدّوا من الاشتراكيين طائفة الاسّينيّة (Esséniens) وبعض الجمعيّات المسيحيّة في القرون المتوسّطة التي كان من شأنها العيشة المشتركة كعيشة الرهبان . فانّ هذه النبذات كانت تبعد عن مبادئ الاشتراكيين بُعد السماء عن الارض . وكذلك لم يحسنوا تعريف « الشهيد » اذ قالوا « انّهُ هو الذي يختار القتل على ترك دينهِ » فتُرى أيدعون شهيداً من يموت في سبيل عبادة الاصنام ؟ وكيف رضي اصحاب الدائرة ان يدعوا بالشهداء قتلى حروب الالبيجيين وغيرهم من الهراطقة المتمرّدين على السلطة ؟ . وفي مادّة « الشمامات » ايضاً ما لا صحّة لهُ

رابعاً وقد وجدنا عدّة اعلام في غير موضعها كترجمتي ابن جابر وابن دانيال في شمس « الدين » وابن الرحبي في « شرف الدين » ولا يخطر على بال احد ان يطلبها في حرف الشين . وكذا قل عن « الشاقل » بدلاً عن « ثقل » . لان الشين العبرانية كثيراً ما تناسب الثاء

خامساً وقد نقلوا كثيراً من اوصاف المدن بحرفه عن ياقوت وقدماء الجغرافيين لم يزيدوا على اقوالهم شيئاً لتعريف حالة هذه المدن في ايامنا . فالمثل الذي كان صواباً منذ ستمائة سنة لا يصح اليوم . مثال ذلك « سيراف وسواد وشاطبة وشاش وشام » وهلم جرًّا . وفي بعض هذه المواد الجغرافية خلل في تحديد تخومها كما ترى في سورية وكان الأولى ان يبتدئوا ما طرأ على حدود سورية من الاختلاف في سابق الاعصار . وقد عدّوا من سورية بلاد فلسطين وفي الشرح لم يكد يُذكر شيء عن هذه الناحية . وكذلك قد شُبّه عليهم في مادة « سيوَرك » فجعلوا المدينة الواحدة مدينتين

سادساً كنّا نحبّ ان نعرف من اي مصدر أُخذت تراجم الاعلام العربية التي ورد ذكرها في الدائرة . فان تعيين اصلها يزيدنا بها ثقةً

سابعاً لم يتّبع اصحاب الدائرة خطّةً واحدة في نقل الالفاظ الفرنسية او الانكليزية فترى حرف الصاد متداولاً على صُوَر شتّى نحو : c ,z ,ss ,s وحرف ش : ch ,sch, sh,c, هذا فضلاً عن اغلاط كثيرة في نقلها نحو : Trimeterre (٣٩٧) عوضاً عن Fumeterre و Oriole (ص ٧٢٢) عوضاً عن Loriot و Somaïsât (ص ٩٣) عوضاً عن Samosate و Sinde (ص ١١١) عوضاً عن Sind و labiatifloraæ (ص ٥٠٧) عوضاً عن labiatiflorée و Syanogen (ص ٢٨٤) عوضاً عن Cyanogène الخ . والله الموفّق الى الصواب

ل . ش

شتّى

الكلوغراف

قد ذكرنا في عدد سابق (ص ١٤١) وصف آلة الكينيماتوغراف وتمثيلها لصور الحركات في القاموس السحري الّا انّ لهذه الآلة خللاً ينجم عن حركات الصور المتتابعة واهتزازاتها فيحصل من ذلك قلّة جلاء في نظر الصور وعنـاء لعين الناظر . وقد اخبرت الجريدة الانكليزية التوتغرافية انّ المستر دُنّ (Dunn) اخترع آلة غايتُها ازالة هذه الحركات بحيث يرى الناظر الصور متواصلةً كأنّها صورة واحدة . واسم هذه الآلة الجديدة « كِلُوغراف »

وقد طلب المسيو دُنّ من جمعية انكليزية تُدعى « Eastman Co » في مدينة روشستر ان تصطنع لآلته ثلثَ جُلَيدات فوتوغرافية طول كلّ واحدة عشرة امتار اي نحو ستة عشر كيلومترًا وثمن الجُلَيدة الواحدة خمسون الف فرنك فتُلحَم الجليداتُ الثلاث بعضها وتُلَفّ على بَكَرَة ثم تُنشَر وتُدار في المصباح السحريّ. وهذه الجليدات تمثّل واقعة حربيّة جرت لكُريت ماك كري في بوفالو

ويُقتضى لبَسْط هذه الجليدات امام الجمهور ثمانون دقيقة ويمرُّ امام اعين الشاخصين ست عشرة صورة في كلّ ثانية. فيكون مجموع الصور المرسومة على الجليدات الثلث ٧٦,٨٠٠ صورة تمثّل الواقعة الحربية بغاية الدقّة بحيث يظنّ الناظرون انّها جارية نصب اعينهم بكل ظروفها واهوالها المفجعة

مداواة الوباء البقري

روى البشير انّ الكتالير موراندي الايطاليّ الميلاني اكتشف دواءً ناجعًا لعلاج الوباء البقري الذي يظهر في افواه الحيوانات واظلافها بشكل نفّاحات او بثور. والدواء المذكور في غاية البساطة ورخص الثمن وذلك ان يؤخذ نقيع الصمتر البرّي فيُصبّ على الموضع المصاب بالبثور بعد غسله بالماء وتنظيفه جيدًا واذا رُضع منهُ شيء في المياه التي تشربها المواشي وقاها من الداء

اسواق العرب في الجاهلية

هي المقالة التي نسج بُردَتها حضرة محمود شكري افندي الآلوسي البغدادي فحرّرناها في العدد التاسع عشر من المشرق. استحسنها القراء فاثنوا على كاتبها. وقد نقلتها مجلّة الهلال برمّتها في عددها الاخير لتعميم فوائدها بين الادباء

حيرشالا ومرتون

اشتبه علينا اسما هذين العَلَمين الواردين مرارًا على هذه الصورة في كتاب تاريخ بيروت فافادنا الفاضل الاديب الامير شكيب ارسلان انّ « حيرشالا ومرتون » تصحيف « حرف شالا ومرتفون » وان الاولى مزرعة في اراضي قرية كفرمتّى بجوار مزرعة رمطون. والثانية مزرعة في شرقيّ خلدا وجنوبيّ شرقيّ صحراء الشويفات كانت سابقًا مأهولة وهي الان من املاك سعادة الامير مصطفى ارسلان. فنشكر فضل الكاتب شكرًا طيّبًا

لغز رياضي

ما هو العدد المركب من ستة ارقام آخرها من جهة الشمال عدد ٤ فان نُقل هذا العدد الى جهة اليمين اصبح العدد الحاصل من هذا التغيير ٣/٢ العدد الاصلي . فالمطلوب تعريف هذا العدد الاصلي باسيل فرًا من حلب

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة القس يرجي الرزي من المنصورة هل بقي شيء في المكاتب الشرقية او الاوربية من ترجمة الشاعر السرياني تاوفيل الرهاوي لقصائد هوميروس الشاعر

ترجمة هوميروس بالسريانية

ج انهُ لاسر ثابت انَّ تاوفيل الرهاوي المارووني رئيس منجمي الخليفة المهدي ابي هرون الرشيد « نقل كتابيْ هوميروس على فتح مدينة ايليون (اعني الالياد والأوديساي) من اليونانية الى السريانية بغاية ما يمكن من الفصاحة » . يشهد بذلك ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٢٠) وفي تاريخهِ السرياني (طبعة الاب بدجان ص ١٢٨) . امَّا آثار هذا العمل الجليل فقليلة جدًّا وقد روى حضرة الاب جبرائيل القرداحي بيتين منهُ وجدهما في بعض الكتب الخطيَّة (كتاب الكنز الثمين ص ٤٠) . والمستشرق الشهير برلس لاغرد وقف ايضًا على بعض ابيات متفرِّقة في بعض تآليف يعقوب برّ شكُو اسقف مار متَّى فاثبتها في المجلَّة الانكليزيَّة (Academy) في تشرين الاوَّل سنة ١٨٧١ ص ٤٦٧

س وطلب الينا الخواجا انطون افندي المسابكي ان نبيّن لهُ . أتبقى النفس في جوهرها في حالة الجنون ام لا

جوهر النفس في حالة الجنون

ج انَّ النفس كما لا يخفى جوهر بسيط فلا تقبل الزيادة والنقصان من حيث هي جوهر . وانَّما تتَّصف بصفات عرضيَّة تزينها او تشينها دون ان تُلحق بجوهرها تغييرًا وكذا قل عن حالة النفس في الجنون فانَّ ذلك لا يتأتى عن نقص في جوهرها بل عن خلل يطرأ في قواها المشتركة كالمخيلة والحافظة او في الحواسّ او الدماغ . ومن المعلوم انَّ النفس لا بُدَّ لها من هذه القوى وهي تتَّخذ منها موادّ علومها المفردة فتجرِّدها بفعلها عن الماديَّات وترقى بها الى حالة الكليَّات ثمَّ تبرز منها حكمها . وذاك فعل النفس الناطقة بمعزل عن الجسد

قاعة للآثار الجوية من ٦ الى ١٩ تشرين الاول ١٨٩٨

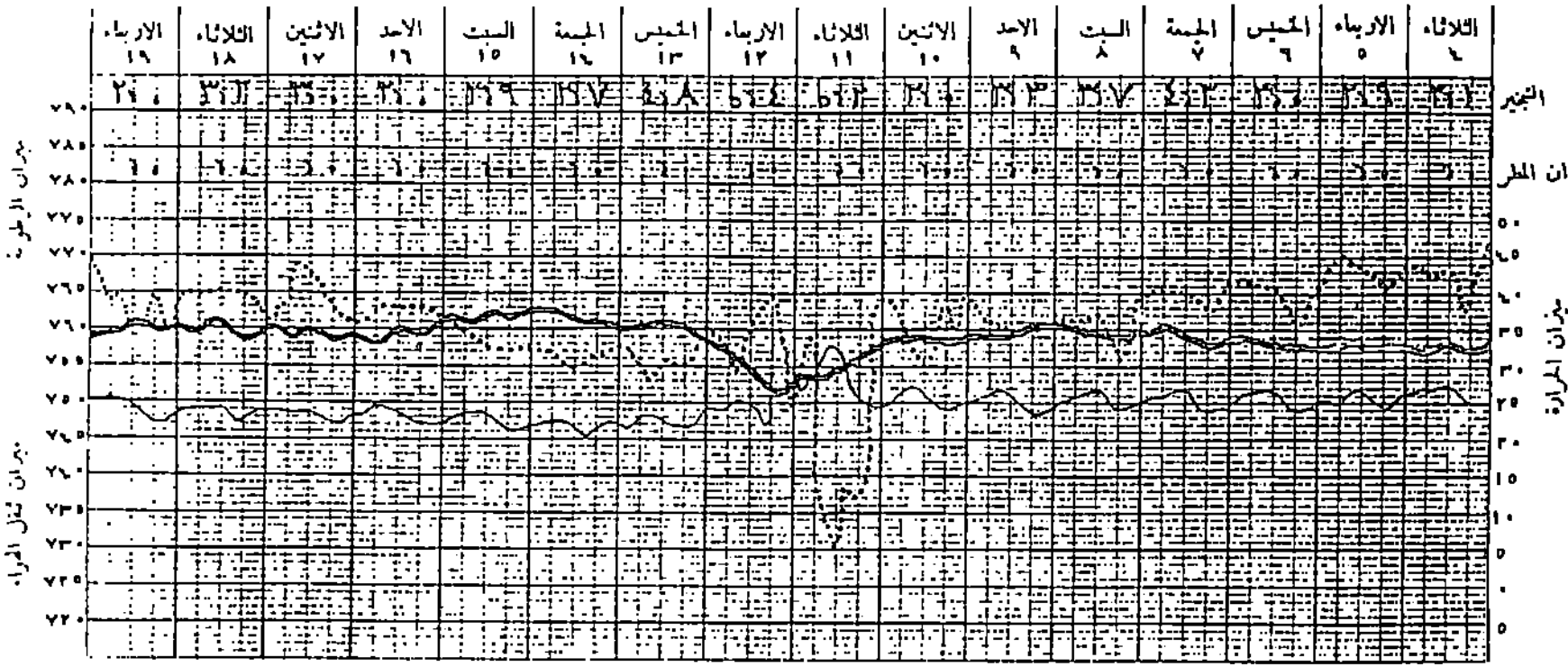

انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هيغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات